حُقُوقُ الشَّبَابِ وَوَاجِبَاتُهُمْ

جمعٌ وترتيبٌ

مِنْ خُطَبِ وَمُحَاضَرَاتِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ:

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ رَسْلَانَ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

دِينُ الْإِسْلَامِ دِينٌ كَامِلٌ عَامٌّ شَامِلٌ:

*فَإِنَّ الدِّينَ الَّذِي رَضِيَهُ اللهُ لَنَا، وَأَتَمَّ عَلَيْنَا بِهِ النِّعْمَةَ، وَالَّذِي أَكْمَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَلَا يَلْحَقُهُ زِيَادَةٌ وَلَا يَعْتَرِيهِ نُقْصَانٌ؛ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ: وَهُوَ الِاسْتِسْلَامُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالتَّوْحِيدِ وَالِانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، دِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ أَكْمَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَتَمَّ عَلَىٰ الْأُمَّةِ بِهِ النِّعْمَةَ وَرَضِيَهُ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ دِينًا.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ دِينًا سِوَاهُ، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي أَرْسَلَ اللهُ ربُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ؛ إِذِ اصْطَفَاهُمْ لِتَبْلِيغِهِ لِخَلْقِهِ وَدَعْوَتِهِمْ إِلَيْهِ، وَتَحْقِيقِهِمْ لَهُ، فَدِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ هُوَ الدِّينُ الْحَقُّ الْوَحِيدُ الَّذِي رَضِيَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، لَا يَقْبَلُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ، وَكُلُّ مَنِ انْتَحَلَ نِحْلَةً أَوِ اعْتَقَدَ مِلَّةً أَوْ صَارَ فِي طَرِيقٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ شَيْئًا مِنْ عِدْلٍ وَلَا صَرْفٍ حَتَّىٰ يَكُونَ آتِيًا خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ

وَالنَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١) عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لَا يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا دَخلَ النَّارَ».

فَأَرْسَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نبيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَىٰ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَجَعَلَهُ خَاتَمَ رُسُلِهِ وَصَفْوَةَ أَنْبِيَائِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَاْختَصَّهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِخَصَائِصَ لَمْ يُؤْتِهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَآتَىٰ أُمَّتَهُ مِنْ تِلْكَ الْخَصَائِصِ مَا شَرَّفَهَا بِهِ، وَرَفَعَ بِهِ قَدْرَهَا، وَأَعْلَىٰ بِهِ مَنْزِلَتَهَا، فَهُمُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ

وَدِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا بَاطِلَ فِيهِ وَلَا شَكَّ يَعْتَرِيهِ، وَالَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولَا مِنْ خَلْفِهِ، لمَّا كَانَ دِينُ الْإِسْلَامِ كَذَلِكَ؛ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ قُوَىٰ الشَّرِّ، وَأَجْلَبَ عَلَيْهِ إِبْلِيسُ بِخَيْلِهِ ورَجْلِهِ، وَحَاوَلَ أَعْدَاءُ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالهُدَىٰ فِي كُلِّ زَمَانٍ مُنْذُ بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا، إِلَىٰ مُسْتَقْبَلِ الْأَيَّامِ، حَاوَلُوا وَيُحَاوِلُونَ وَسَيُحَاوِلُونَ أَنْ يَشَوِّهوا صُورَتَهُ وَأَنْ يَصْرِفُوا عَنْهُمْ مُعْتَنِقِيهِ وَحَمَلَتَهُ، وَلَكِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ حَافِظٌ دِينَهُ وَنَاصِرَهُ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُثَبِّتٌ أَوْلِيَاءَهُ وَنَاصِرُهُمْ، فَلَا يَضُرُّهُمْ كَيْدُ مَنْ كَادَهُمْ مَا آمَنُوا بِاللهِ رَبِّهِمْ وَتَبِعُوا نَبِيَّهُمْ ﷺ وَكَانُوا عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ.(*).

---

(١) أخرجه مسلم: (١/ ١٣٤، رقم ١٥٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (عَقَائِدُ الْكُفْرِ تَغْزُو الشَّبَابَ) الْجُمُعَةَ ٥ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٠هـ الْمُوَافِقَ ٢٩/ ٥/ ٢٠٠٩م

وَدِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ أَكْمَلُ الْأَدْيَانِ وَأَفْضَلُهَا، وَأَعْلَاهَا وَأَجَلُّهَا، وَقَدْ حَوَىٰ مِنَ الْمَحَاسِنِ وَالْكَمَالِ وَالصَّلَاحِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ مَا يَشْهَدُ للهِ تَعَالَىٰ بِالْكَمَالِ الْمُطْلَقِ وَسَعَةِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَيَشْهَدُ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، وَأَنَّهُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

فَهَذَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ أَعْظَمُ بُرْهَانٍ، وَأَجَلُّ شَاهِدٍ للهِ بِالتَّفَرُّدِ بِالْكَمَالِ الْمُطْلَقِ كُلِّهِ وَلِنَبِيِّهِ ﷺ بِالرِّسَالَةِ وَالصِّدْقِ .(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (مَحَاسِنُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ١) الثُّلَاثَاءَ ٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٥هـ الْمُوَافِقَ ٧/ ١/ ٢٠١٥ م

دِينُ الْإِسْلَامِ دِينُ السَّعَادَةِ دُنْيَا وَآخِرَةً:

*وَالنَّبِيُّ ﷺ أَرْسَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ، أَرْسَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَيْهِ، وَأَمَرَهُ بِالْقِيَامِ عَلَيْهِ، فَأَدَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ الْأَمَانَةَ فِي نَفْسِهِ، وَقَامَ بِدِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ وَذَاتِهِ، وَبَلَّغَ دِينَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِلْعَالَمِينَ، وَلَمْ يُرْسِلْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَبِيَّنَا ﷺ لِنَشْقَىٰ بِهِ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَا الْتَزَمَ دِينَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ظَاهِرًا، أَوْ تَمَسَّكَ بِالْهَدْيِ النَّبَوِيِّ فِي ظَاهِرِهِ وَحَالِهِ أَوْ تَمَسَّكَ بِدِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بَاطِنًا، لَا يَدْخُلُ الْمَدْخَلَ الصَّحِيحَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالدُّخُولِ مِنْهُ؛ فَتَجِدُهُ يَشْقَىٰ.

وَلَمْ يُنزِلْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْقُرْآنَ عَلَىٰ نَبِيِّنا لِيَشْقَىٰ بِهِ، بَلْ لِيَسْعَدَ بِهِ فِي الدُّنْيَا بِهَنَاءِ الرُّوحِ فِي إِقْبَالِهَا عَلَىٰ رَبِّهَا، وَبِاسْتِقَامَةِ الْقَلْبِ عَلَىٰ تَوْحِيدِ مَوْلَاهَا وَبَارِيهَا؛ لِأَنَّ النَّفْسَ وَالرُّوحَ إِذَا مَا اسْتَقَامَ الْقَلْبُ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ اسْتَقَامَتْ وَاعْتَدَلَ حَالُهَا وَصَلُحَ أَمْرُهَا، فَحِينَئِذٍ تَجِدُ الِاسْتِقْرَارَ فِي الْحَيَاةِ، يَنْتَفِي الْقَلَقُ نَاحِيَةً وَيَذْهَبُ الِاضْطِرَابُ جَانِبًا، وَيَصِيرُ الْمَرْءُ مُسْتَعْلِيًا بِدِينِهِ فَوْقَ مَطَامِعِ الْحَيَاةِ وَمَطَالِبِ الْمَادَّةِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ مُحَقِّقًا لِوَظِيفَةِ الْإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ عَلَىٰ النَّحْوِ الصَّحِيحِ.

إِذَا مَا غَابَ عَنْهُ مَعْرِفَةُ دِينِهِ مَعْرِفَةً صَحِيحَةً؛ فَإِنَّهُ يَشْقَىٰ بِتِلْكَ الْأَمْشَاجِ وَالْأَخْلَاطِ الَّتِي عَرَفَهَا عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَ الدِّينَ مَعْرِفَةً صَحِيحَةً وَحِينَئِذٍ؛ فَإِنَّهُ يَضِلُّ هَاهُنَا وَهَاهُنَا يَحْسَبُ أَنَّهُ عَلَىٰ خَيْرٍ.

❋ ❋ ❋

مَنْ وَجَدَ النَّصَبَ فِي تَمَسُّكِهِ بِدِينِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُرَاجِعَ نَفْسَهُ:

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ مُتَحَرِّكًا بِدِينِهِ فِي دَاخِلِ الْإِطَارِ الْمُكَلَّفِ بِأَنْ يَكُونَ دَاخِلَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ النَّصَبَ وَلَا يَلْقَىٰ التَّعَبَ، وَمَعْلُومٌ وَهِيَ حَقِيقَةٌ قَائِمَةٌ جَزْمًا بِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَمَسَّكَ بِدِينِ رَبِّهِ؛ فَأَصَابَهُ عَنَتٌ أَوْ وَجَدَ فِي حَيَاتِهِ النَّصَبَ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يُرَاجِعَ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ هَكَذا دِينُ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ أَنَّ مُوسَىٰ عليه السلام لَمَّا قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: «**هَلْ تَعْلَمُ أَحَدٌ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ؟**». **قَالَ**: «**لَا**».

وَكَانَ عليه السلام صَادِقًا فِيمَا قَالَ، فَعَتَبَ عَلَيْهِ اللهُ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، وَكَانَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: لَا وَاللهِ أَعْلَمُ، فَأَوْحَىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَيْهِ أَنَّ لَنَا عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، وَاسْتَأْذَنَ مُوسَىٰ فِي أَنْ يَسْعَىٰ إِلَيْهِ لِكَيْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُ وَمِمَّا أَفَاضَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي عَلَّمَهُ، وَأَذِنَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِمُوسَىٰ بِالرِّحْلَةِ وَأَعْلَمَهُ بِالْعَلَامَةِ الَّتِي إِذَا مَا وَجَدَهَا؛ فَالْعَبْدُ الصَّالِحُ ثَمَّةَ، «**خُذْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَإِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّةَ**» أَيْ فَهُوَ هُنَاكَ[1].

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ١٦٨، رقم ٧٤)، ومسلم: (٤/ ١٨٤٧-١٨٥٣، رقم ٢٣٨٠)، من حديث: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رضي الله عنه.

وَمرَّ مَعَهُ فَتَاهُ «يُوشَعُ بْنُ نُونٍ» يَحْمِلُ الْمِكْتَلَ فِيهِ الْحُوتُ وَأَوَيَا إِلَىٰ الصَّخْرَةِ؛ فَفَقَدَ الْحُوتَ وَهُمَا لَا يَعْلَمَانِ، فَجَاوَزَ الْمِيقَاتَ الْمَفْرُوضَ؛ فَوَجَدَ النَّصَبَ وَالتَّعَبَ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ قَبْلُ، لَمْ يَذْكُرْ مُوسَىٰ عليه السلام التَّعَبَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَاوَزَ الْمِيقَاتَ الْمَفْرُوضَ، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾. [الكهف: ٦٢].

لَمْ يَذْكُرِ النَّصَبَ إِلَىٰ بَعْدَ أَنْ جَاوَزَ الْمِيقَاتَ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾، ثُمَّ إِنَّهُمَا لَمَّا عَادَا؛ وَجَدَا الْعَبْدَ الصَّالِحَ، وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ؛ قَصَّهُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ وَالنَّبِيُّ الْكَرِيمُ فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ وَالْخَضِرِ.

الشَّاهِدُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ مُتَحَرِّكًا فِي دَاخِلِ الْإِطَارِ الَّذِي كُلِّفَ بِأَنْ يَكُونَ دَاخِلَهُ وَلَمْ يَتَجَاوَزْهُ، فَتَوَقَّفَ عِنْدَ حُدُودِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ وَأَخَذَ بِدِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ مِنْ أَخْذِهِ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَلْقَىٰ نَصَبًا وَلَا يَجِدُ تَعَبًا، وَإِنَّمَا تَحْيَا الرُّوحُ حَيَاتَهَا وَيَجِدُ الْقَلْبُ اسْتِقْرَارَهُ وَمَقَرَّهُ، وَيَسْتَقِيمُ جَسَدُهُ عَلَىٰ الْحقِّ وَالْخَيْرِ، وَكَذَا كَانَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، وَكَذَا كَانَ أَصْحَابُ نَبِيِّنا الْمَأْمُونِ ﷺ -، وَكَانَ يُعَلِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِذَا كَانُوا بَعِيدًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

❁ ❁ ❁

آتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ:

كَمَا رَوَىٰ أَبُو جُحَيْفَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ آخَىٰ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَذَهَبَ سَلْمَانُ لِزِيَارَةِ أَخِيهِ؛ فَلَمْ يَجِدْهُ، وَجَدَ أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً -يَعْنِي فِي ثِيَابِ الْمِهْنَةِ- كَأَنَّهَا لَيْسَتْ بِذَاتِ بَعْلٍ.

فَقَالَ لَهَا: مَا هَذَا يَا أُمَّ الدَّرْدَاءِ؟

فَقَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا.

فَكَنَّتْ عَنِ اعْتِزَالِهِ إِيَّاهَا وَعَدَمِ قُرْبَانِهِ مِنْهَا بِهَذِهِ اللُّغَةِ الشَّفِيفَةِ الَّتِي لَا تَخْدِشُ وَلَا يَفْعَلُ فِعْلَهَا النَّسِيمُ، فَقَالَتْ: إِنَّ أَخَاكَ لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا.

فَلَمَّا جَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ؛ قَدَّمَ إِلَيْهِ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ.

فَقَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّىٰ تَأْكُلَ.

قَالَ: إِنِّي صَائِمٌ.

قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّىٰ تَأْكُلَ.

فَأَكَلَ مَعَهُ وَبَقِيَ مَعَهُ حَتَّىٰ صَلَّيَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، فَلَمَّا رَجَعَ؛ قَامَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لِكَيْ يُصَلِّيَ.

فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: نَمْ، فَنَامَ.

ثُمَّ قَامَ لِيُصَلِّيَ؛ فَقَالَ: نَمْ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ فِي السَّحَرِ الْأَعْلَىٰ، قَالَ: الْآنَ فَقُمْ، فَصَلَّيَا مَا شَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُصَلِّيَا، ثُمَّ أَخْبَرَهُ سَلْمَانُ رضي الله عنه بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي صَدَّقَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ «**إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإِنَّ لأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَآتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**».

فَلَمَّا أَخْبَرَ بِهَا أَبُو الدَّرْدَاءِ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**صَدَقَ سَلْمَانُ**»(١).

فَاعْتَمَدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ بِهَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ زَوَّجَهُ فَلَمْ يَكْشِفْ لِأَهْلِهِ سِتْرًا، ثُمَّ ذَهَبَ عَمْرٌو رضي الله عنه لِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَهُ، ثُمَّ أَعْلَمَ النَّبِيَّ ﷺ بِحَالِهِ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، إِنَّ لِبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، إِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، إِنَّ لأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، إِنَّ لِزَوْرِكَ** -أَيْ: لِضِيفَانِكَ وَزَائِرِيكَ- **عَلَيْكَ حَقًّا، فَآتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: (٤/ ٢١٠، رقم ١٩٦٨) و(١٠/ ٥٣٤، رقم ٦١٣٩)، من حديث: أَبِي جُحَيْفَةَ وَهْب السُّوَائِيّ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري: (٤/ ٢١٨، رقم ١٩٧٥)، ومسلم: (٢/ ٨١٣، رقم ١١٥٩)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قال:
قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَبْدَ اللهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟»، فَقُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَلاَ تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا،... »، الحديث.
وفي رواية لمسلم: (٢/ ٨١٤): «وَإِنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»، بدل قوله: «وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

فَدِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ إِذَا الْتَزَمَهُ الْإِنْسَانُ بِبَصِيرَةٍ وَوَعْيٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَجِدَ نَصَبًا فِي الْأَخْذِ بِهِ وَفِي الْعَمَلِ بِتَعَالِيمِهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ مَعَهُ أَصْحَابُهُ وَكَانُوا فِي الْفَتْرَةِ الْمَكِّيَّةِ يَجِدُونَ الْعَنَتَ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يُعَذَّبُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُشَرَّدُ وَمِنْهُمْ يُضْطَهَدُ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ، مِنْ تَجْوِيعٍ وَحِصَارٍ وَتَشْرِيدٍ وَتَعْذِيبٍ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَرْتَدَّ مِنْهُمْ وَاحِدٌ عَنْ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَقَدْ سَأَلَ هِرَقْلُ أَبَا سُفْيَانَ -وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ-: «هَلْ يَرْتَدُّ مِنْهُمْ أَحَدٌ -أَيْ: مِمَّنْ تَبِعُوا مُحَمَّدًا ﷺ هَلْ يَرْتَدُّ مِنْهُمْ أَحَدٌ عَنْ دِينِهِ تَسَخُّطًا عَلَيْهِ؟!»

فَقَالَ: «لَا»(١).

لِأَنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ إِذَا مَا خَالَطَتِ الْقُلُوبَ مُمَازِجَةً إِيَّاهَا؛ فَإِنَّهَا تَحْيَا بِهَا، وَبِهَا حَيَاتُهَا، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَحِيدَ عَنْهَا، وَأَيْنَ يَمْضِيٰ هَارِبٌ مِنْ دَمِهِ؟! لِأَنَّهَا تَدُورُ فِي الدِّمَاءِ وَلِأَنَّهَا تَحْيَا بِهَا خَلَايَاهُ، وَلِأَنَّهَا بَعْضٌ مِنْ ذَاتِهِ، وَلِأَنَّهَا شَيْءٌ فِي ضَمِيرِهِ، بَلْ إِنَّهَا لَتَسْتَحْوِذُ عَلَىٰ هَذَا الضَّمِيرِ.

النَّبِيُّ ﷺ عَلَّمَهُمْ وَضَبَطَ لَهُمْ النِّسَبَ وَأَقَامَ لَهُمُ الصَّرْحَ الْعَظِيمَ، ثُمَّ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، ثُمَّ صَارَ النَّاسُ فِي مَسَارِ التَّارِيخِ الْمُمْتَدِّ الطَّوِيلِ إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا، وَتَهرَّأَتْ الْعَقِيدَةُ فِي أَنْفُسِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، وَصَارَتْ

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ٣١-٣٣، رقم ٧)، ومسلم: (٣/ ١٣٩٣-١٣٩٧، رقم ١٧٧٣)، من حديث: ابن عباس رضي الله عنهما.

بَاهِتَةً دَارِسَةً مَعَالِمُهَا، وَصَارَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمُوهُ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.(*).

فَإِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْإِنْسَانُ دِينَ رَبِّهِ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤَدِّيَ عَلَيْهِ حَقَّهُ، ولا يمكن أَنْ يَعْرِفَ وَاجِبَهُ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ جَاهِلًا مُتَخَبِّطًا.(/٢).

وَإِنَّ الْأُمَّةَ الْيَوْمَ تَعْقِدُ رَجَاءَهَا بِأَمْرِ رَبِّهَا جَلَّتْ قُدْرَتُهُ عَلَىٰ شَبَابِهَا الَّذِي يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعُودَ الْأَمْرُ مُصَحَّحًا إِلَىٰ سَبِيلِهِ السَوِيِّ، وَطَرِيقِهِ الْمَرْضِيِّ بَعِيدًا عَنْ عَسَفِ الشَّهَوَاتِ، وَتَخَبُّطِ اللَّذَّاتِ، وَبَعِيدًا عَنِ الْخَبْطِ فِي أَوْدِيَةِ الضَّلَالَاتِ، وَرُجُوعًا إِلَىٰ النَّهْجِ الْأَحْمَدِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ

لِأَنَّ الْأُمَّةَ قَدْ عَقَدَتْ مَنَاطَ رَجائِهَا عَلَيْهِمْ، وَأَسْلَمَتْ زِمَامَ قِيَادِهَا إِلَيْهِمْ؛ فَأَصْبَحُوا مَأْمُونِينَ عَلَىٰ أَمَانَةٍ جَلِيلَةٍ مِنْ أَجْلِ إِخْرَاجِ الْأُمَّةِ مِمَّا هِيَ فِيهِ مِنْ تَخَلُّفِهَا، وَبُعْدِهَا عَنِ الرَّكْبِ الَّذِي أَصْبَحَ قَائِدَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَىٰ وَهْدَةٍ فِي حَضِيضٍ هَابِطٍ إِلَىٰ أَسْفَلَ سَافِلِينَ؛ مِنَ لَذَّاتٍ، وَشَهَوَاتٍ أُطْلِقَتْ مِنْ عِقَالِهَا بِحَيْثُ لَا يَحْبِسُهَا حَابِسٌ وَلَا يَرُدُّها رَادٌّ.(*/٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (عَقَائِدُ الْكُفْرِ تَغْزُو الشَّبَابَ) الْجُمُعَةَ ٥ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٠هـ الْمُوَافِقَ ٢٩/ ٥/ ٢٠٠٩م

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (مَظْلُومِيَّةُ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ) الْجُمُعَةَ ١٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٥هـ الْمُوَافِقَ ١٧/ ١/ ٢٠١٤م

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (نَصِيحَةٌ لِلشَّبَابِ مَعَ بِدَايَةِ الْعَامِ الدِّرَاسِيِّ) ٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٥هـ الْمُوَافِقَ ١٧/ ٩/ ٢٠٠٤م

وَمِنْ أَجْلِ أَنَّ الْأُمَّةَ قَدْ عَقَدَتْ مَنَاطَ رَجَائِهَا عَلَيْهِمْ، وَأَسْنَدَتِ الْأَمَانَةَ إِلَيْهِمْ، فَيَنْبَغِي عَلَى الشَّبَابِ أَنْ يَقُومُوا بِوَاجِبَاتِهِمْ:

الشَّبَابُ نِعْمَةٌ:

*فَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤].

(اللهُ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي بَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنْ نُطْفَةٍ، وَأَنْشَأَكُمْ عَلَىٰ ضَعْفِ حَالِ الطُّفُولَةِ، ثُمَّ جَعَلَ اللهُ فِيكُمْ مِنْ بَعْدِ ضَعْفِ الطُّفُولَةِ شَيْئًا مِنَ الْقُوَّةِ النِّسْبِيَّةِ الَّتِي تَتَدَرَّجُ مُتَصَاعِدَةً حَتَّىٰ تَبْلُغُوا كَمَالَ قُوَّتِكُمْ، وَهِيَ قُوَّةُ الشَّبَابِ، ثُمَّ جَعَلَ اللهُ بَعْدَ هَذِهِ الْقُوَّةِ ضَعْفَ الْكِبَرِ وَالْهَرَمِ وَضَعْفَ الشَّيْخُوخَةِ وَالشَّيْبَ، فَتَتَنَاقَصُ لَدَيْكُمْ هَذِهِ الْقُوَّةُ تَدْرِيجِيًّا حَتَّىٰ تَصِلَ إِلَىٰ تَمَامِ الضَّعْفِ وَنِهَايَةِ الْكِبَرِ إِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ، أَوْ تُوَافِيكُمْ مَنَايَاكُمْ قَبْلَ ذَلِكَ.

يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ خَلْقَهُ؛ مِنَ الضَّعْفِ وَالْقُوَّةِ، وَالشَّبَابِ وَالشَّيْبَةِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ، الْقَدِيرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ يَشَاؤُهُ) .(*).

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الشَّبَابَ نِعْمَةٌ كَغَيْرِهَا مِنَ النِّعَمِ وَأَنَّ الْعَبْدَ سَيُسْأَلُ عَنْهَا أَمَامَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةُ الرُّومِ الثُّلَاثَاءَ ٢٨ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٠/ ١١/ ٢٠١٥م

قَالَ ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ(١)

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الترمذي: (٤/ ٦١٢، رقم ٢٤١٧)، من حديث: أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ١٦٢، رقم ١٢٦).

اغْتِنَامُ مَرْحَلَةِ الشَّبَابِ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ:

وَقَدْ حَثَّنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ اغْتِنَامِ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْمُهِمَّةِ مِنْ مَرَاحِلِ الْعُمُرِ بِالْعَمَلِ وَالْعَطَاءِ وَالتَّزَوُّدِ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ لِأَنْفُسِنَا وَدِيننَا وَمُجْتَمَعِنَا لِتَحْقِيقِ سَعَادَتِنَا وَمَا فِيهِ خَيْرُنَا فَي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

قَالَ ﷺ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ(١).(*).

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: (٥/ ٥٨، رقم ١١١)، والحاكم في «المستدرك»: (٤/ ٣٠٦، رقم ٧٨٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (١٢/ ٤٧٦ رقم ٩٧٦٧)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.
قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/ ٣١١، رقم ٣٣٥٥)، وروي عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ مرسلا، بمثله، وانظر: «شعب الإيمان»: (١٢/ ٤٧٦ - ٤٧٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ(دَوْرُ الشَّبَابِ فِي بِنَاءِ الدُّوَلِ وَالْحَضَارَاتِ) الْجُمُعَةَ ٢٤ مِنْ صَفَرٍ ١٤٤٠هـ الْمُوَافِقَ ٢/ ١١/ ٢٠١٨م

وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ الْعَبْدِ نِعْمَةُ الصِّحَّةِ، فَفِي نُصُوصِ الْكِتَابِ الْعَظِيمِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ فَضْلِ الصِّحَّةِ وَفَضْلِ الْعَافِيَةِ، وَجَلَالِ ذَلِكَ؛ لِجَمِيلِ أَثَرِهِ، وَلِعَظِيمِ قَدْرِهِ فِي دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عِنْدَ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ.

لَمَّا جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ طَالُوتَ مَلِكًا مَبْعُوثًا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ دَاوُدَ عليه السلام قَالَ الْقَوْمُ: إِنَّهُ لَمْ يَتَمَيَّزْ عَلَيْنَا بِكَثِيرِ مَالٍ، ولا بِشَيْءٍ، فَقَالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٧].

فجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمَيزَةَ مَحْفُوظَةً لَدَيْهِ بِأَنْ آتَاهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ، وَبَسْطَةً فِي الْجِسْمِ.

فَآتَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عِلْمًا، وَآتَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَيْدًا وَقُوَّةً، آتَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ صِحَّةً فِي تَمَامِ إِيمَانٍ؛ فَجَعَلَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- ذَلِكَ سَبَبًا لِتَفْضِيلِهِ عَلَيْهِمْ، وَتَقْدِيمِهِ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَرَضُوا عَلَىٰ تَقْدِيمِهِ عَلَيْهِمْ.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَخْبَرَنَا -أَيْضًا- أَنَّ بِنْتَ شُعَيْبٍ لَمَّا صَحِبَتْ مُوسَىٰ عليه السلام إِلَىٰ أَبِيهَا، قَالَتْ فِي حَيْثِيَّاتِ تَقْدِيمِهِ مُسْتَأْجَرًا عِنْدَ أَبِيهَا؛ لِكَيْ تَتَخَلَّصَ مِنَ عَنَاءِ الرَّعْيِ وَالسَّقْيِ؛ لِأَنَّ أَبَاهَا كَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، فَلِذَا خَرَجَتْ وَأُخْتُهَا؛ مِنْ أَجْلِ الرَّعْيِ وَالسَّقْيِ، وَالْقِيَامِ عَلَىٰ أُمُورِ الْحَيَاةِ بِطَلَبِ الْمَعَاشِ.

أَرَادَتْ أَنْ تَرْتَاحَ، فَوَجَدَتْ فِي مُوسَىٰ عليه السلام بُغْيَتَهَا، فَمَا هِيَ الْحَيْثِيَّاتُ الَّتِي قَدَّمَتْهَا لِأَبِيهَا؟

قَالَتْ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

فَجَاءَتِ الْقُوَّةُ، وَجَاءَتِ الصِّحَّةُ -أَيْضًا- فِي هَذِهِ الْحَيْثِيَّاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ الْجَلِيلِ.(*).

*وَفِي فَضْلِ الْعَافِيَةِ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**»(٢).

عِنْدَمَا يُنْعِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ الْعَبْدِ بِنِعْمَةِ الصِّحَّةِ فَهُوَ لَا يَجْتَهِدُ فِي الْعِبَادَةِ، وَلَا فِي الطَّاعَةِ، وَلَا فِي أَدَاءِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، وَإِنَّمَا تَتَبَدَّدُ صِحَّتُهُ فِيمَا لَا يُفِيدُ، فَإِذَا مَا سُلِبَتْ مِنْهُ نِعْمَةُ الصِّحَّةِ، وَأَرَادَ أَمْرًا؛ لَمْ يَقْوَ عَلَيْهِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا أَنْعَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ بِالْفَرَاغِ، وَلَمْ يَشْغَلْهُ بِشَيْءٍ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ مِنَ الْهُمُومِ وَمِنَ الْأَحْزَانِ، فَهَذِهِ الْفَتْرَةُ مِنَ الْفَرَاغِ نِعْمَةٌ يَظْلِمُ الْعَبْدُ فِيهَا نَفْسَهُ، حَتَّىٰ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَقُولُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ: إِنَّ الْإِنْسَانَ مِنَ الْمَلَلِ لَا يَدْرِي كَيْفَ يُمَضِّي وَقْتَهُ، وَلَا كَيْفَ يُضَيِّعُ هَذَا الْوَقْتَ!!

وَكَثِيرًا مَا تَسْمَعُ مِنْ زَائِرٍ يَزُورُكَ أَنَّهُ إِنَّمَا زَارَكَ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُضَيِّعَ بَعْضَ الْوَقْتِ، فَهُوَ جَاءَ لِيُضَيِّعَ وَقْتَ نَفْسِهِ!!

فَهَذِهِ نِعْمَةٌ هُوَ لَا يُحِسُّ بِهَا، وَلَا يَدْرِيهَا.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (رِحْلَةُ الْمَرَضِ وَفَضْلُ الْعَافِيَةِ) الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ(فَضْلُ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ) مَنْشُورَةٌ بِتَارِيخِ ٩/ ١٢/ ٢٠١٥م

(٢) أخرجه البخاري: (١١/ ٢٢٩، رقم ٦٤١٢)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ(نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ) ١/ ١١/ ٢٠٠٢م

*وَالنَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»(١)، بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا -يَعْنِي: لَوْ كَانَ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا- وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**».

وَالْعُلَمَاءُ -عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ- وَمِنْهُمُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَ تَعَرُّضِهِ لِشَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ، ذَكَرَ أَنَّ الْقُوَّةَ الَّتِي ذَكَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ إِنَّمَا هِيَ قُوَّةُ الْقَلْبِ، وَقُوَّةُ الرُّوحِ، وَعَزِيمَةُ النَّفْسِ، فَهِيَ الَّتِي تَدْفَعُ الْمَرْءَ فِي الْجِلَادِ عِنْدَ الْجِهَادِ لِأَنْ يَكُونَ سَابِقًا فِي مَوْطِنِ الْمَوْتِ، تَنُوشُهُ الرِّمَاحُ، وَتُمَزِّقُهُ السُّيُوفُ، وَلَا يَتَأَخَّرُ، وَلَا يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ.

وَلَكِنَّ جَمْهَرَةً غَالِبَةً مِنْ عُلَمَائِنَا -عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ- أَخَذُوا بِالْإِطْلَاقِ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ**»: قَوِيٌّ فِي بَدَنِهِ، قَوِيٌّ فِي إِيمَانِهِ، قَوِيٌّ فِي صِحَّتِهِ، قَوِيٌّ فِي يَقِينِهِ.(*).

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٠٥٢، رقم ٢٦٦٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(رِحْلَةُ الْمَرَضِ وَفَضْلُ الْعَافِيَةِ) الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ(فَضْلُ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ) مَنْشُورَةٌ بِتَارِيخِ ٩/ ١٢/ ٢٠١٥م

الشَّابُّ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي يَخْدِمُ دِينَهُ وَوَطَنَهُ يُظِلُّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:

*وقَدْ جَعَلَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مَنْزِلَةَ الشَّابِّ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي يَخْدِمُ دِينَهُ وَوَطَنَهُ، تَالِيَةً لِمَنْزِلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ فِي السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ،

قَالَ ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَىٰ حَتَّىٰ لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»(١).

إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُخْبِرُنَا أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَلَّا نَظْلِمَ أَنْفُسَنَا فِي حَالِ صِحَّتِنَا، وَلَا فِي حَالِ فَرَاغِنَا وَعَدَمِ شُغْلِنَا وَلَا فِي حَالِ شَبَابِنَا، بَلْ عَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ مِنَ الصِّحَّةِ لِلْمَرَضِ وَأَنْ نَأْخُذَ مِنَ الْفَرَاغِ لِلشُّغْلِ، وَمِنَ الشَّبَابِ لِلْهَرَمِ

---

(١) أخرجه البخاري: (٢/ ١٤٣، رقم ٦٦٠)، ومسلم: (٢/ ٧١٥، رقم ١٠٣١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

فَلْيَحْرِصْ الشَّابُّ الْمُسْلِمُ عَلَىٰ أَوْقَاتِهِ وَسَاعَاتِهِ حَتَّىٰ لَا تَضِيعَ سُدًى، وَلْيَجْعَلَ لَهُ نَصِيبًا مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ وشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ**»(١) .(*).

❁ ❁ ❁

(١) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (دَوْرُ الشَّبَابِ فِي بِنَاءِ الدُّوَلِ وَالْحَضَارَاتِ) ٢٤ مِنْ صَفَرٍ ١٤٤١هـ الْمُوَافِقَ ٢/ ١١/ ٢٠١٨م

الْحِرْصُ عَلَى التَّعَلُّمِ وَعَدَمِ تَضْيِيعِ الْوَقْتِ:

وَيَنْبَغِي عَلَى الشَّابِّ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى تَعَلُّمِ الْعِلْمِ وَأَلَّا يَضِيعَ الْوَقْتُ:

*وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف:٦٠]

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَنَا عَنْ صَفِيِّهِ وَكَلِيمِهِ الَّذِي كَتَبَ لَهُ التَّوْرَاةِ بِيَدِهِ وَكَلَّمَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ رَحَلَ إِلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ وَيَزْدَادُ عِلْمًا إِلَىٰ عِلْمِهِ فَقَالَ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف:٦٠] حِرْصًا مِنْهُ عَلَىٰ لِقَاءِ هَذَا الْعَالِمِ وَعَلَىٰ التَّعَلُّمِ مِنْهُ فَلَمَّا لَقِيَهُ سَلَكَ مَعَهُ مَسْلَكَ الْمُتَعَلِّمِ مَعَ مُعَلِّمِهِ وَقَالَ لَهُ:

﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فَبَدَأَهُ بَعْدَ السَّلَامِ بِالِاسْتِئْذَانِ عَلَىٰ مُتَابَعَتِهِ وَأَنَّهُ لَا يَتَّبِعُهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَقَالَ: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فَلَمْ يَجِئْ مُمْتَحِنًا وَلَا مُتَعَلِّمًا وَإِنَّمَا جَاءَ مُتَعَلِّمًا مُسْتَزِيدًا عِلْمًا إِلَىٰ عِلْمِهِ وَكَفَىٰ بِهَذَا

(١) «مفتاح دار السعادة»: (١/ ١٥٠).

فَضْلًا وَشَرَفًا لِلْعِلْمِ فَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ وَكَلِيمَهُ سَافَرَ وَرَحَلَ حَتَّىٰ لَقِيَ النَّصَبَ مِنْ سَفَرِهِ فِي تَعَلُّمِ ثَلَاثِ مَسَائِلَ مِنْ رَجُلٍ عَالِمٍ وَلَمَّا سَمِعَ بِهِ لَمْ يَقَرَّ لَهُ قَرَارٌ حَتَّىٰ لَقِيَهُ وَطلَبَ مِنْهُ مُتَابَعَتَهُ وَتَعْلِيمَهُ»

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

فِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

الْأُولَىٰ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ هَذَا سُؤَالُ الْمُلَاطِفِ، وَالْمُخَاطِبِ الْمُسْتَنْزِلِ الْمُبَالِغِ فِي حُسْنِ الْأَدَبِ، والْمَعْنَىٰ: هَلْ يَتَّفِقُ لَكَ وَيَخِفُّ عَلَيْكَ؟

الثَّانِيَةُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمُتَعَلِّمَ تَبَعٌ لِلْعَالِمِ وَإِنْ تَفَاوَتَتِ الْمَرَاتِبُ، وَلَا يُظَنُّ أَنَّ فِي تَعَلُّمِ مُوسَىٰ مِنَ الْخَضِرِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْخَضِرَ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ، فَقَدْ يَشِذُّ عَنِ الْفَاضِلِ مَا يَعْلَمُهُ الْمَفْضُولُ، وَالْفَضْلُ لِمَنْ فَضَّلَهُ اللهُ، فَالْخَضِرُ إِنْ كَانَ وَلِيًّا فَمُوسَىٰ أَفْضَلُ مِنْهُ، لِأَنَّهُ نَبِيٌّ وَالنَّبِيُّ أَفْضَلُ مِنَ الْوَلِيِّ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا فَمُوسَىٰ فَضْلُهُ بِالرِّسَالَةِ. وَاللهُ أَعْلَمُ»

وَاسْتَدَلَّ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف:٦٠].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: (١١/ ١٧).

عَلَىٰ أَنَّ مِنَ الْفِقْهِ الرِّحْلَةَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَقَالَ[١]: «فِي هَذَا مِنَ الْفِقْهِ: رِحْلَةُ الْعَالِمِ فِي طَلَبِ الِازْدِيَادِ مِنَ الْعِلْمِ وَالِاسْتِعَانَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ بِالْخَادِمِ وَالصَّاحِبِ وَاغْتِنَامِ لِقَاءِ الْفُضَلَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَإِنْ بَعِدَتْ أَقْطَارُهُمْ وَذَلِكَ كَانَ دَأْبَ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَبِسَبَبِ ذَلِكَ وَصَلَ الْمُرْتَحِلُونَ إِلَىٰ الْحَظِّ الرَّاجِحِ وَحَصَلُوا عَلَىٰ السَّعْيِ النَّاجِحِ، فَرَسَخَتْ لَهُمْ فِي الْعُلُومِ أَقْدَامٌ وَصَحَّ لَهُمْ مِنَ الذِّكْرِ وَالْأَجْرِ وَالْفَضْلِ أَفْضَلُ الْأَقْسَامِ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ[٢]: وَرَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ فِي حديث»

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ[٣]: «قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦]

يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنْ قِيلِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِذَلِكَ الرَّجُلِ الْعَالِمِ وَهُوَ الْخَضِرُ، الَّذِي خَصَّهُ اللهُ بِعِلْمٍ لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ مُوسَىٰ، كَمَّا أَنَّهُ أَعْطَىٰ مُوسَىٰ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُعْطِهِ الْخَضِرَ قالَ لَهُ مُوسىٰ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ سُؤَالُ تَلَطُّفٍ لَا عَلَىٰ وَجْهِ الْإِلْزَامِ وَالْإِجْبَارِ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ سُؤَالُ الْمُتَعَلِّمِ مِنَ الْعَالِمِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَتَّبِعُكَ﴾ أَيْ: أَصْحَبُكَ وَأُرَافِقُكَ ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ أَيْ: مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ شَيْئًا أَسْتَرْشِدُ بِهِ فِي أَمْرِي مِنْ عِلْمٍ نَافِعٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ»

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: (١١/ ١١).

(٢) «الصحيح»: كتاب العلم: بَابُ الخُرُوجِ فِي طَلَبِ العِلْمِ، (١/ ١٧٣).

(٣) «تفسير القرآن العظيم»: (٥/ ١٨١).

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(١): «يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنْ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَشِدَّةِ رَغْبَتِهِ فِي الْخَيْرِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ، أَنَّهُ قَالَ لِفَتَاهُ - أَيْ: خَادِمُهُ الَّذِي يُلَازِمُهُ فِي حَضَرِهِ وَسَفَرِهِ، وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ الَّذِي نَبَّأَهُ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ:- ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ أَيْ: لَا أَزَالُ مُسَافِرًا وَإِنْ طَالَتْ عَلَيَّ الشُّقَّةُ، وَلَحِقَتْنِي الْمَشَقَّةُ، حَتَّىٰ أَصِلَ إِلَىٰ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّكَ سَتَجِدُ فِيهِ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ الْعَالِمِينَ، عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ، مَا لَيْسَ عِنْدَكَ.

﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ أَيْ: مَسَافَةً طَوِيلَةً، الْمَعْنَىٰ: أَنَّ الشَّوْقَ وَالرَّغْبَةَ، حَمَلَ مُوسَىٰ أَنْ قَالَ لِفَتَاهُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، وَهَذَا عَزْمٌ مِنْهُ جَازِمٌ، فَلِذَلِكَ أَمْضَاهُ.

وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجِيبَةِ الْجَلِيلَةِ، مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْأَحْكَامِ وَالْقَوَاعِدِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، نُنَبِّهُ عَلَىٰ بَعْضِهِ بِعَوْنِ اللهِ.

فَمِنْهَا فَضِيلَةُ الْعِلْمِ، وَالرِّحْلَةُ فِي طَلَبِهِ، وَأَنَّهُ أَهَمُّ الْأُمُورِ، فَإِنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَحَلَ مَسَافَةً طَوِيلَةً، وَلَقِيَ النَّصَبَ فِي طَلَبِهِ، وَتَرَكَ الْقُعُودَ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِتَعْلِيمِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ، وَاخْتَارَ السَّفَرَ لِزِيَادَةِ الْعِلْمِ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَمِنْهَا: الْبُدَاءَةُ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ، فَإِنَّ زِيَادَةَ الْعِلْمِ وَعِلْمَ الْإِنْسَانِ أَهَمُّ مِنْ تَرْكِ ذَلِكَ، وَالِاشْتِغَالِ بِالتَّعْلِيمِ مِنْ دُونِ تَزَوُّدٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ أَكْمَلُ.

وَمِنْهَا: التَّأَدُّبُ مَعَ الْمُعَلِّمِ، وَخِطَابُ الْمُتَعَلِّمِ إِيَّاهُ أَلْطَفَ خِطَابٍ، لِقَوْلِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص ٤٨١).

﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ بِصُورَةِ الْمُلَاطَفَةِ وَالْمُشَاوَرَةِ، وَأَنَّكَ هَلْ تَأْذَنُ لِي فِي ذَلِكَ أَمْ لَا؟ وَإِقْرَارُهُ بِأَنَّهُ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ، بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَفَاءِ أَوِ الْكِبْرِ، الَّذِي لَا يَظْهَرُ لِلْمُعَلِّمِ افْتِقَارُهُمْ إِلَىٰ عِلْمِهِ، بَلْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَتَعاوَنُ هُمْ وَإِيَّاهُ، بَلْ رُبَّمَا ظَنَّ أَنَّهُ يُعَلِّمُ مُعَلِّمَهُ، وَهُوَ جَاهِلٌ جِدًّا، فَالذُّلُّ لِلْمُعَلِّمِ، وَإِظْهَارُ الْحَاجَةِ إِلَىٰ تَعْلِيمِهِ، مِنْ أَنْفَعِ شَيْءٍ لِلْمُتَعَلِّمِ.

وَمِنْهَا تَوَاضُعُ الْفَاضِلِ لِلتَّعَلُّمِ مِمَّنْ دُونَهُ، فَإِنَّ مُوسَىٰ -بِلَا شَكٍّ- أَفْضَلُ مِنَ الْخَضِرِ.

وَمِنْهَا: تَعَلُّمُ الْعَالِمِ الْفَاضِلِ لِلْعِلْمِ الَّذِي لَمْ يَتَمَهَّرْ فِيهِ، مِمَّنْ مَهَرَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ دُونَهُ فِي الْعِلْمِ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ.

فَإِنَّ مُوسَىٰ عليه السلام مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، الَّذِينَ مَنَحَهُمُ اللهُ وَأَعْطَاهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُعْطَ سِوَاهُمْ، وَلَكِنْ فِي هَذَا الْعِلْمِ الْخَاصِّ كَانَ عِنْدَ الْخَضِرِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَلِهَذَا حَرَصَ عَلَىٰ التَّعَلُّمِ مِنْهُ.

فَعَلَىٰ هَذَا، لَا يَنْبَغِي لِلْفَقِيهِ الْمُحَدِّثِ، إِذَا كَانَ قَاصِرًا فِي عِلْمِ النَّحْوِ، أَوِ الصَّرْفِ، أَوْ نَحْوِهِ مِنَ الْعُلُومِ، أَنْ لَا يَتَعَلَّمَهُ مِمَّنْ مَهَرَ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَدِّثًا وَلَا فَقِيهًا.

وَمِنْهَا: إِضَافَةُ الْعِلْمِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ للهِ تَعَالَىٰ، وَالْإِقْرَارُ بِذَلِكَ، وَشُكْرُ اللهِ عَلَيْهَا لِقَوْلِهِ: ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ أَيْ: مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ تَعَالَىٰ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْعِلْمَ النَّافِعَ، هُوَ الْعِلْمُ الْمُرْشِدُ إِلَىٰ الْخَيْرِ، فَكُلُّ عِلْمٍ يَكُونُ فِيهِ رُشْدٌ وَهِدَايَةٌ لِطَرِيقِ الْخَيْرِ، وَتَحْذِيرٌ عَنْ طَرِيقِ الشَّرِّ، أَوْ وَسِيلَةٌ لِذَلِكَ، فَإِنَّهُ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ضَارًّا، أَوْ لَيْسَ فِيهِ فَائِدَةٌ لِقَوْلِهِ: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

وَمِنْهَا: أَنَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ قُوَّةُ الصَّبْرِ عَلَىٰ صُحْبَةِ الْعَالِمِ وَالْعِلْمِ، وَحُسْنِ الثَّبَاتِ عَلَىٰ ذَلِكَ، أَنَّهُ لَيْسَ بِأَهْلٍ لِتَلَقِّي الْعِلْمِ، فَمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ لَا يُدْرِكُ الْعِلْمَ، وَمَنِ اسْتَعْمَلَ الصَّبْرَ وَلَازَمَهُ، أَدْرَكَ بِهِ كُلَّ أَمْرٍ سَعَىٰ فِيهِ، لِقَوْلِ الْخَضِرِ - يَعْتَذِرُ مِنْ مُوسَىٰ بِذِكْرِ الْمَانِعِ لِمُوسَىٰ مِنَ الْأَخْذِ عَنْهُ- إِنَّهُ لَا يَصْبِرُ مَعَهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ السَّبَبَ الْكَبِيرَ لِحُصُولِ الصَّبْرِ، إِحَاطَةُ الْإِنْسَانِ عِلْمًا وَخِبْرَةً، بِذَلِكَ الْأَمْرِ، الَّذِي أَمَرَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَالَّذِي لَا يَدْرِيهِ، أَوْ لَا يَدْرِي غَايَتَهُ وَلَا نَتِيجَتَهُ، وَلَا فَائِدَتَهُ وَثَمَرَتَهُ لَيْسَ عِنْدَهُ سَبَبُ الصَّبْرِ لِقَوْلِهِ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ فَجَعَلَ الْمُوجِبَ لِعَدَمِ صَبْرِهِ، وَعَدَمِ إِحَاطَتِهِ خُبْرًا بِالْأَمْرِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْمُعَلِّمَ إِذَا رَأَىٰ الْمَصْلَحَةَ فِي إِيزَاعِهِ لِلْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَتْرُكَ الِابْتِدَاءَ فِي السُّؤَالِ عَنْ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ، حَتَّىٰ يَكُونَ الْمُعَلِّمُ هُوَ الَّذِي يُوقِفُهُ عَلَيْهَا، فَإِنَّ المَصْلَحَةَ تُتَّبَعُ، كَمَا إِذَا كَانَ فَهْمُهُ قَاصِرًا، أَوْ نَهَاهُ عَنِ الدَّقِيقِ فِي سُؤَالِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي غَيْرُهَا أَهَمُّ مِنْهَا، أَوْ لَا يُدْرِكُهَا ذِهْنُهُ، أَوْ يَسْأَلُ سُؤَالًا لَا يَتَعَلَّقُ بِمَوْضِعِ الْبَحْثِ». (*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ (فَضْلُ الْعِلْمِ) ص٥٥-٥٨

*عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ: إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي حَدِيثٍ بَلَغَنِي، أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: مَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ غَيْرُهُ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: وَلَا جِئْتَ لِتِجَارَةٍ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: وَلَا جِئْتَ إِلَّا فِيهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ[1].

---

(١) أخرجه أبو داود: (٣/ ٣١٧، رقم ٣٦٤١)، والترمذي: (٥/ ٤٨ - ٤٩، رقم ٢٦٨٢)، وابن ماجه: (١/ ٨١ و ٨٧، رقم ٢٢٣ و ٢٣٩).

والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ١٣٨، رقم ٧٠).

وعَنْ أَبِي مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**»(١)

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «أَمَّا مَعَانِي الْحَدِيثِ وَمَقْصُودُهُ فَهُوَ تَمْثِيلُ الْهُدَىٰ الَّذِي جَاءَ بِهِ ﷺ بِالْغَيْثِ وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْأَرْضَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ وَكَذَلِكَ النَّاسُ فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَرْضِ يَنْتَفِعُ بِالْمَطَرِ فَيَحْيَىٰ بَعْدَ أَنْ كَانَ مَيْتًا وَيُنْبِتُ الْكَلَأَ فَتَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ وَالدَّوَابُّ وَالزَّرْعُ وَغَيْرُهَا وَكَذَا النَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنَ النَّاسِ يَبْلُغُهُ الهدىٰ وَالْعِلْمُ فَيَحْفَظُهُ فَيَحْيَا قَلْبُهُ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيُعَلِّمُهُ غَيْرَهُ فَيَنْتَفِعُ وَيَنْفَعُ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْأَرْضِ: ما لا تَقْبَلُ الِانْتِفَاعَ فِي نَفْسِهَا لَكِنْ فِيهَا فَائِدَةٌ وَهِيَ إِمْسَاكُ الْمَاءِ لِغَيْرِهَا فَيَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ وَالدَّوَابُّ وَكَذَا النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ النَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ حَافِظَةٌ لَكِنْ لَيْسَتْ لَهُمْ أَفْهَامٌ ثَاقِبَةٌ وَلَا رُسُوخَ لَهُمْ فِي الْعَقْلِ يَسْتَنْبِطُونَ بِهِ الْمَعَانِيَ وَالْأَحْكَامَ وَلَيْسَ عِنْدَهُمُ اجْتِهَادٌ فِي الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ بِهِ فَهُمْ يَحْفَظُونَهُ حَتَّىٰ يَأْتِيَ طَالِبٌ مُحْتَاجٌ مُتَعَطِّشٌ لِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ أَهْلٌ لِلنَّفْعِ وَالِانْتِفَاعِ فَيَأْخُذَهُ مِنْهُمْ فَيَنْتَفِعَ بِهِ فَهَؤُلَاءِ نَفَعُوا بِمَا بَلَغَهُمْ.

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ١٧٥، رقم ٧٩)، ومسلم: (٤/ ١٧٨٧ - ١٧٨٨، رقم ٢٢٨٢).

(٢) شرح صحيح مسلم: (١٥/ ٤٧ - ٤٨).

وَالنَّوْعُ الثَّالِثُ مِنَ الْأَرْضِ: السِّبَاخُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ وَنَحْوُهَا فَهِيَ لَا تَنْتَفِعُ بِالْمَاءِ وَلَا تُمْسِكُهُ لِيَنْتَفِعَ بِهَا غَيْرُهَا وَكَذَا النَّوْعُ الثَّالِثُ مِنَ النَّاسِ لَيْسَتْ لَهُمْ قُلُوبٌ حَافِظَةٌ وَلَا أَفْهَامٌ وَاعِيَةٌ فَإِذَا سَمِعُوا الْعِلْمَ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ وَلَا يَحْفَظُونَهُ لِنَفْعِ غَيْرِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْعِلْمِ:

مِنْهَا: ضَرْبُ الْأَمْثَالِ

وَمِنْهَا: فَضْلُ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَشِدَّةُ الْحَثِّ عَلَيْهِمَا وَذَمُّ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْعِلْمِ وَاللهُ أَعْلَمُ.(*).

*وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: «كَفَىٰ بِالْعِلْمِ شَرَفًا أَنْ يَدَّعِيَهُ مَنْ لَا يُحْسِنُهُ، وَيَفْرَحُ بِهِ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ، وَكَفَىٰ بِالْجَهْلِ ذَمًّا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ مَنْ هُوَ فِيهِ».

وَعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «مَوْتُ أَلْفِ عَابِدٍ أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِ عَالِمٍ بَصِيرٍ بِحَلَالِ اللهِ وَحَرَامِهِ»(٢).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله(٣): «وَوَجْهُ قَوْلِ عُمَرَ: أَنَّ هَذَا الْعَالِمَ يَهْدِمُ عَلَىٰ إِبْلِيسَ كُلَّ مَا يَبْنِيهِ، بِعِلْمِهِ وَإِرْشَادِهِ، وَأَمَّا الْعَابِدُ فَنَفْعُهُ مَقْصُورٌ عَلَىٰ نَفْسِهِ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ)، (الْمُحَاضَرَةُ ٥) ثَانِيًا: بَيَانُ فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ مِنْ نُصُوصِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ الْأَحَدَ ٣٠ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٢٠١٦/١/١٠م

(٢) أخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في الزوائد علىٰ «المسند»: (٢/ ٨١٣، رقم ٨٤٢)، بإسناد منقطع.

(٣) «مفتاح دار السعادة»: (١/ ٣٤١).

وَعَنْ كَمِيلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ قَالَ: «أَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِيَدِي، فَأَخْرَجَنِي نَاحِيَةَ الْجَبَّانَةِ، فَلَمَّا أَصْحَرَ، تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ، ثُمَّ قَالَ يَا كَمِيلُ بْنَ زِيَادٍ، إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا احْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ وَمُتَعَلِّمٌ عَلَىٰ سَبِيلِ نَجَاةٍ وَهَمَجٍ رَعَاعٍ أَتْبَاعِ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَىٰ رُكْنٍ وَثِيقٍ.

يَا كَمِيلُ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، وَالْمَالُ تُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَىٰ الْإِنْفَاقِ- وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَىٰ الْعَمَلِ-، الْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ»[1].

---

(١) أخرجه ابن عبد ربه في «العقد الفريد»: (٢/ ٨١)، وأبو بكر الأبهري في «الفوائد»: (ص ٣٢ - ٣٣، رقم ١٦)، والمعافى بن زكريا في «الجليس الصالح الكافي»: (ص ٥٨٤ و ٦٩٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: (١/ ٧٩ - ٨٠)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه»: (١/ ١٨٢، رقم ١٧٦)، وفي «تاريخ بغداد»: (٦/ ٣٧٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (١٤/ ١٧ - ١٨) و (٥٠/ ٢٥٠ - ٢٥٥)، عَنْ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ:
أَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِي فَأَخْرَجَنِي إِلَىٰ نَاحِيَةِ الْجَبَّانِ، فَلَمَّا أَصْحَرْنَا جَلَسَ ثُمَّ تَنَفَّسَ ثُمَّ قَالَ: «يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ، الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، وَاحْفَظْ مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَىٰ سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ،... » فذكره.
وذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وأهله»: (٢/ ٩٨٤ - ٩٨٥، رقم ١٨٧٨)، وقال: «وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ يُسْتَغْنَىٰ عَنِ الْإِسْنَادِ لِشُهْرَتِهِ عِنْدَهُمْ».

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ»(١).

وَقَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ بَعْدَ الْفَرَائِضِ أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ»(٢).(*).

*وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(٤): «لَمَّا كَانَ فِي الْقَلْبِ قُوَّتَانِ: قُوَّةُ الْعِلْمِ وَالتَّمْيِيزِ، وَقُوَّةُ الْإِرَادَةِ وَالْحُبِّ، كَانَ كَمَالُهُ وَصَلَاحُهُ بِاسْتِعْمَالِ هَاتَيْنِ الْقُوَّتَيْنِ فِيمَا يَنْفَعُهُ، وَيَعُودُ عَلَيْهِ بِصَلَاحِهِ وَسَعَادَتِهِ

فَكَمَالُهُ بِاسْتِعْمَالِ قُوَّةِ الْعِلْمِ فِي الْحَقِّ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَاطِلِ، وَبِاسْتِعْمَالِ قُوَّةِ الْإِرَادَةِ وَالْمَحَبَّةِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ وَمَحَبَّتِهِ وَإِيثَارِهِ عَلَىٰ الْبَاطِلِ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ الْحَقَّ فَهُوَ ضَالٌّ، وَمَنْ عَرَفَهُ وَآثَرَ غَيْرَهُ عَلَيْهِ فَهُوَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ عَرَفَهُ وَاتَّبَعَهُ فَهُوَ مُنْعَمٌ عَلَيْهِ».

أَنْشَدَ أَحْمَدُ بْنُ غَزَالٍ(٥):

---

(١) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي»: (٢/ ١٣٩)، بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في «المدخل»: (٢/ ٧٢٦، رقم ١٥٨١)، وفي «مناقب الشافعي»: (٢/ ١٣٨ و ١٤٠)، بإسناد صحيح.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ)، (الْمُحَاضَرَةُ ٨) ثَانِيًا: تَتِمَّةُ بَيَانِ فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ ثَالِثًا: مِنْ آثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ الثُّلَاثَاءَ ٢ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٢/ ١/ ٢٠١٦م

(٤) «إغاثة اللهفان»: (١/ ٣٥).

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٣٧/ ٢٥٦، ترجمة ٤٣٣٠).

الْأَرْضُ تَحْيَا إِذَا مَا عَاشَ عَالِمُهَا مَتَىٰ يَمُتْ عَالِمٌ مِنْهَا يَمُتْ طَرَفُ
كَالْأَرْضِ تَحْيَا إِذَا مَا الْغَيْثُ حَلَّ بِهَا وَإِنْ أَبَىٰ عَادَ فِي أَكْنَافِهَا التَّلَفُ

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «مَنْ نَالَ شَيْئًا مِنْ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة فَإِنَّمَا نَالَهُ بِالْعِلْمِ وَتَأَمَّلْ مَا حَصَلَ لِآدَمَ مِنْ تَمَيُّزِهِ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ وَاعْتِرَافِهِمْ لَهُ بِتَعْلِيمِ اللهِ لَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ مَا حَصَلَ لَهُ مِنْ تَدَارُكِ الْمُصِيبَةِ وَالتَّعْوِيضِ عَنْ سُكْنَىٰ الْجَنَّةِ بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْهَا بِعِلْمِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاهَا مِنْ رَبِّهِ

وَمَا حَصَلَ لِيُوسُفَ مِنَ التَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ وَالْعِزَّةِ وَالْعَظَمَةِ بِعِلْمِهِ بِتَعْبِيرِ تِلْكَ الرُّؤْيَا ثمَّ عِلْمُهُ بِوُجُوهِ اسْتِخْرَاجِ أَخِيهِ مِنْ إِخْوَتِهِ بِمَا يُقِرُّونَ وَيَحْكُمُونَ هُمْ بِهِ حَتَّىٰ آلَ الْأَمْرُ إِلَىٰ مَا آلَ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ وَالْعَاقِبَةِ الْحَمِيدَةِ وَكَمَالِ الْحَالِ الَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَا بِالْعِلمِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهَا سُبْحَانَهُ فِي قَوْله: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]

جَاءَ فِي تَفْسِيرِهَا: نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نشَاءُ بِالْعِلمِ كَمَا رَفَعْنَا دَرَجَةً يُوسُفَ عَلَىٰ إِخْوَتِهِ بِالْعِلمِ

وَقَالَ فِي إِبْرَاهِيم ﷺ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾ [الأنعام:٨٣] فَهَذِهِ رفْعَةٌ بِعِلْمِ الْحُجَّةِ وَالْأَوَّلُ رِفْعَةٌ بِعِلْمِ السِّيَاسَةِ.

---

(١) «مفتاح دار السعادة»: (١/ ٤٩٥ - ٤٩٧).

وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَ لِلْخَضِرِ بِسَبَبِ عِلْمِهِ مِنْ تَلْمَذَةِ كَلِيمِ الرَّحْمَنِ لَهُ وتَلَطُّفِهِ مَعَه فِي السُّؤَالِ حَتَّىٰ قَالَ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦]

وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَ لِسُلَيْمَانَ مِنْ عِلْمِ مَنْطِقِ الطَّيْرِ حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ مُلْكِ سَبَأٍ وَقَهَرَ مَلِكَتَهُمْ وَاحْتَوَىٰ عَلَىٰ سَرِيرِ مُلْكِهَا وَدُخُولِهَا تَحْتَ طَاعَتِهِ وَلذَلِك قَالَ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل:١٦]

وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَ لِدَاوُدَ مِنْ عِلْمِهِ نَسْجَ الدُّرُوعِ مِنَ الْوِقَايَةِ مِنْ سِلَاحِ الْأَعْدَاءِ وَعَدَّدَ سُبْحَانَهُ هَذِه النِّعْمَةَ بِهَذَا الْعِلْمِ عَلَىٰ عِبَادِهِ فَقَالَ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء:٨٠]

وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَ لِلْمَسِيحِ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ والتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مَا رَفَعَهُ اللهُ بِهِ إِلَيْهِ وَفَضَّلَهُ وَكَرَّمَهُ.

وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَ لسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ بِهِ نعْمَةً عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣] .(*).

*وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ(فَضْلُ الْعِلْمِ)ص٢٣٠-٢٣٢

يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»(١)

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «فِي الْحَدِيثِ فَضْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَفَضْلُ الْحِرْصِ عَلَىٰ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ»

وَالْحِرْصُ عَلَىٰ الطَّلَبِ سِمَةُ الصِّدْقِ فِيهِ، وَعَلَامَةٌ فَارِقَةٌ بَيْنَ طَالِبِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَالدَّخِيلِ عَلَىٰ الْعِلْمِ الْمُلْصَقِ بِهِ.(*).

*وَعَلَىٰ الْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَطْلُبَ الْعِلْمَ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ وَمَهْمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالرِّئَاسَةِ وَالْجَاهِ وَقَانُونُ الْعُلَمَاءِ فِي الطَّلَبِ هُوَ: مَعَ الْمِحْبَرَةِ إِلَىٰ الْمَقْبَرَةِ، وَالْعِلْمُ مِنَ الْمَهْدِ إِلَىٰ اللَّحْدِ

وَقَدْ قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ: إِلَىٰ مَتَىٰ تَطْلُبُ الْعِلْمِ؟

قَالَ حَتَّىٰ الْمَمَاتِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَقِيلَ لَهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ مِثْلُ ذَلِكَ فَقَالَ: لَعَلَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي تَنْفَعُنِي لَمْ أَكْتُبْهَا بَعْدُ.

قَالَ الرَّبِيعُ تِلْمِيذُ الشَّافِعِيِّ: لَمْ أَرَ الشَّافِعِيَّ آكِلًا بِالنَّهَارِ وَلَا نَائِمًا بِلَيْلٍ، لِاهْتِمَامِهِ بِالتَّصْنِيفِ

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ١٩٢، رقم ٩٩) و (١١/ ٤١٨، رقم ٦٥٧٠).

(٢) «فتح الباري»: (١/ ١٩٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ) ثَانِيًا (طَرَائِقُ التَّحْصِيلِ) الْمُحَاضَرَةُ (١٤) الْأَحَدَ ٧ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٧/ ١/ ٢٠١٦م

وَعَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: إِنْ كُنْتُ لِأَرْحَلُ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ.(*).

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ وَقَدْ أَحْسَنَ *

لَا يُدْرِكُ الْعِلْمَ إِلَّا كُلُّ مُشْتَغِلٍ بِالْعِلْمِ هِمَّتُهُ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ(*/٢)

*وَتَأَمَّلْ فِي حَالِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ الْبِيكُنْدِيِّ وَهُوَ مِنْ شُيُوخِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلَّامٍ تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ

كَانَ فِي حَالِ الطَّلَبِ جَالِسًا فِي مَجْلِسِ الْإِمْلَاءِ وَالشَّيْخُ يُحَدِّثُ وَيُمْلِي وَالطُّلَّابُ كَانُوا يَكْتُبُونَ، كَانُوا يَكْتُبُونَ بِأَقْلَامٍ قَدِ اتُّخِذَتْ مِنَ الْغَابِ وَمَا أَشْبَهَ تُبْرَىٰ بَرْيًا فَرُبَّمَا حُفِيَ الْقَلَمُ، وَيَكْتُبُونَ عَلَىٰ أَوْرَاقٍ وَتُصِيبُهُمْ الْآفَاتُ وَعِنْدَهُمُ الْمِدَادُ فِي أَدْوِيَتِهِمْ.

فَلَمَّا انْكَسَرَ قَلَمُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ أَمَرَ مُنَادِيًا بِأَنْ يُنَادِيَ قَلَمٌ بِدِينَارٍ، دِينَارٌ كَانَ يَشْتَرِي ضَيْعَةً -قَلَمٌ بِدِينَارٍ- فَتَطَايَرَتْ إِلَيْهِ الْأَقْلَامُ، لَا قِيمَةَ لِلْمَالِ، إِذَا فَاتَ لَفْظُ الْمُحَدِّثِ فَلَمْ تُدْرِكْهُ، لَا قِيمَةَ لِلْمَالِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَ شَرَفَ الزَّمَانِ وَقَدْرَ الْعِلْمِ وَيُحَقِّقُ الْإِنْسَانُ قِيمَتَهُ فِي الْوُجُودِ بِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ.(*/٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ شَرْحِ فَضْلِ الْعِلْمِ ثَانِيًا: طَرَائِقُ التَّحْصِيلِ الْمُحَاضَرَةُ (١٣) السَّبْتَ ٦ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٦/ ١/ ٢٠١٦م

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ) ثَانِيًا: طَرَائِقُ التَّحْصِيلِ الْمُحَاضَرَةُ (١٤) الْأَحَدَ ٧ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٧/ ١/ ٢٠١٦م

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ (قِيمَةُ الْوَقْتِ عِنْدَ الْمُسْلِمِ٤/ ٢) الْجُمُعَةَ ٣ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣١هـ الْمُوَافِقَ ١٣/ ٨/ ٢٠١٠م

* وَكَانَ مِن سَلَفِنا الصَّالِحينَ مِنْ أَهلِ العِلمِ الرَّاسِخِينَ مَن إِذا اشتغل بِبَرْيِ قَلمٍ؛ تَمتَمتْ شفَتاهُ بذِكرِ الله، فلَا يُضيِّعُ الوقتَ بَيْنَ انقطَاعِهِ عَنِ الْكِتَابَةِ وَالتَّحْرِيرِ وبَرْيِ قلَمِهِ اسْتِعْدَادًا لِكِتَابةٍ جَدِيدَةٍ، كانُوا كَذلِكَ يصْنَعُونَ، بلْ كانَ منهُمْ مَنْ يُعِدُّ للبَطَّالينَ الَّذينَ يزعُمُونَ أَنَّهُمْ يزُورُونَ إِخْوَانَهُمْ فِي اللهِ مَحَبَّةً فِيه، وَهُمْ إِنَّما يقْطَعُونَ أَوقاتَ الْفَرَاغِ عَنْ حَقِيقَةِ ما ينْبغِي أنْ تَكُونَ فِيهِ.

هُمْ مِنَ البطَّالِينَ الْفَارِغِينَ، يزُورُ الوَاحِدُ منهُمْ أَخَاهُ لِيُضَيِّعَ عَلَيْهِ رَأْسَ الْمَالِ فِي الْحَيَاةِ مِنْ غَيْرِ مَا فَائِدةٍ وَلاَ عائِدَةٍ بَلْ يُوَرِّطَهُ فِي كَذِبٍ وَغَيْبَةٍ وتَقْطِيعِ لأَرْحَامٍ ومَا أَشْبَهَ.

وكُنْ مِن النَّاسِ عَلَىٰ حَذَرٍ، وكُنْ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ خَاصَّةً عَلَىٰ حَذَرٍ، احْذَرْهُمْ وَلا تُخَوِّنهُمْ، ولَكِنْ كُنْ مِنهُم علَىٰ حَذَر فَقَلَّ مَنْ يُرِيدُ لكَ الْخَيْرَ ويحْرِصُ عَلَيْكَ ويرجُو لَكَ النَّفْعَ ويُقدِّمُهُ لَكَ، اتَّقِهِمْ مَا شِئتَ وَمَا استَطَعْتَ وَلَا تُضَيِّعْ حُقُوقَهُمْ عليْكَ، عَلِّمْهُمْ إنْ كُنْتَ عَالِمًا، وادعُهُمْ إنْ كُنْتَ دَاعِيًا، وأَعْطِهِمْ إنْ كُنْتَ واجِدًا، وَانصَحْهَمْ إنْ كُنْتَ بِالْمَعْرُوفِ آمِرًا، وازجُرْهُمْ عَنِ الْبَاطِلِ إنْ كُنْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيًا، وَقدِّمْ لَهُمُ الْخَيْرَ مَا اسْتَطَعْتَ، وَكُنْ مِنهُم عَلَىٰ حَذَرٍ، كُنْ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ عَلَىٰ حَذَرٍ؛ فأَكثرُهُمْ مِنَ البطَّالِينَ.

كَانَ بَعْضُ سَلَفِنا مِنْ عُلمَائِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ يُعِدُّ للبطَّالِينَ الفَارِغِينَ المُبَدِّدِينَ لِلْأَوقَاتِ إِذَا مَا زَارَهُ الوَرَقَ لِيُقطِّعَهُ بسِكِّينِ الْوَرَقِ وَالْأَقْلامَ لِيَبْرِيَهَا لَه وَالْمِدَادَ لِيُعِدَّهُ لَه؛ فَيُشَغِّلُهُ فِي آلَةِ العِلْمِ، وَهِيَ تَسْتغرِقُ مِنْ زمَانِهِ زَمَانًا؛ فَيكُونُ قَدْ رَبِحَ

زَمَانَهُ وَزَمَانَ زائِرِهِ، حتَّىٰ لَا يتبَدَّدَ في غَيْرِ طَائِلٍ، وحتَّىٰ لَا يعُودَ عَلَيْهِ بالخُسْرَانِ - خُسْرَانِ الْمَآلِ والحَالِ-.(*).

وَعَلَى الشَّابِّ أَنْ يَتَحَمَّلَ الْمَسْئُولِيَّةَ:

* عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَىٰ النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وعبدُ الرجلِ راعٍ عَلَىٰ مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عنه، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَهِيَ مَسؤولَةٌ**، سَمِعْتُ هَؤُلَاءِ من النَّبِيِّ ﷺ، وَأَحْسَبُ النَّبِيَّ ﷺ **قَالَ**: «**وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ، أَلَا كُلُّكُم راعٍ، وَكُلُّكُم مَسْؤُولٌ عَن رَعِيَّتِه**»(٢).

وَفِي الحَدِيثِ بَيَانٌ: أَنَّ المَسْئُولِيَّةَ عَامَّةٌ فِي المُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ وَهِيَ مُتَوَزِّعَةٌ عَلَىٰ أَصْحَابِهَا عَلَىٰ حَسَبِ المُسْتَطَاعِ، وَخَتَمَ النَّبِيُّ ﷺهَذَا الحَدِيثَ الَّذِي فِيهِ تَوزِيعُ المَسْؤُلِيَّاتِ عَلَىٰ أَصْحَابِهَا بِجُمْلَةٍ عَامَّةٍ أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُم مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،

فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ دَاخِلٌ فِي هَذَا العُمُومِ .(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (تَضْيِيعِ الْأَوْقَاتِ فِي رَمَضَانَ) الْجُمُعَةَ ٣ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣١هـ الْمُوَافِقَ ١٣/ ٨/ ٢٠١٠م

(٢) أخرجه البخاري: (٨/ ١٤١، رقم ٨٩٣)، ومسلم: (٣/ ١٤٥٩، رقم ١٨٢٩).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ شَرْحِ(الأَدَبُ المُفْرَدُ) الْمُحَاضَرَةُ (١٩) الْأَحَدَ ٧ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٢هـ، الْمُوَافِقَ ١٠ / ٤ / ٢٠١١م

الأَمَانَةُ فِي العَمَلِ مَعَ تَأْدِيَتِهِ عَلَى الوَجْهِ المَطْلُوبِ:

وَاللهُ رَبُّ العَالَمِينَ أَمَرَ بِأَدَاءِ الأَمَانَاتِ، وَأَدَاءُ الأَمَانَاتِ يَدْخُلُ فِيْهِ كُلُّ شَيءٍ فِي الحَيَاةِ، فَالعِبَادَةُ أَمَانَة، وَالخِيَانَةُ فِيْهَا أَنْ تُنْتَقَص، فَإِذَا انتَقَصَ الإِنسَانُ مِنَ العِبَادَةِ فَهُوَ خَائِنٌ، وَالمُعَامَلَاتُ أَمَانَةٌ، وَمَا يُسْتَأَمَنُ عَلَيْهِ المَرْءُ أَمَانَةٌ، وَالسِّرُ أَمَانَةٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ تَعَلَّقَ بِهِ أَمْرٌ وَنَهْيٌ فِي دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَهُوَ أَمَانَةٌ، وَالخِيَانَةُ فِيْهِ أَلَّا يُؤْتَىٰ بِهِ عَلَىٰ الوَجْهِ الشَّرْعِيّ المَطْلُوبِ.

فَإِذَا كَانَ إِنْسَانٌ فِي عَمَلٍ، فَالعَمَلُ الَّذِي اسْتُأْمِنَ عَلَيهِ أَمَانَةٌ، فَإِذَا خَانَ فِيهِ فَهُوَ خَائِنٌ، وَجَزَاءُ الخَائِنِ مَعْلُومٌ، وَكُلُّ مَنْ أُسنِدَ إِلَيهِ عَمَلٌ فَلَمْ يَأْتِ بِهِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَقَدَ أَكَلَ مِنَ حَرَامٍ، إِنْ كَانَ مُتَحَصِّلًا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ عَلَىٰ أَجْرٍ، شَاءَ أَمْ أَبَىٰ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا كَانَ مُوَظَّفًا يَتَحَصَّلُ عَلَىٰ رَاتِبٍ فِي مُقَابِلِ عَمَلِهِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بَلْ جُلُّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُم مُسْتَأجَرُونَ، هُمْ أُجَرَاءُ، مُسْتَأْجَرُونَ عَلَىٰ حَسَبِ عَقْدٍ مُبْرَمٍ وَلَائِحَةٍ لَهَا بُنُودٌ، وَهُمْ فِي أَعمَالِهِم يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَزِمُوا بِمَا تَعَاقَدُوا عَلَيهِ بَدْءًا،وَكُلُّ مَنْ فَرَّطَ فَقَدْ تَحَصَّلَ عَلَىٰ مَالٍ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، وَهُوَ آكِلٌ مِنْ حَرَامٍ، وَهُوَ مُغَذٍّ وَلَدَهُ وَأَهْلَهُ وَبَانٍ بَيْتَهُ وَمُقْتَنٍ مَرْكُوبَهُ مِنْ حَرَامٍ، هَذَّا إِذَا كَانَتِ الوَظِيفَةُ فِي نَفْسِهَا بِعَقْدٍ عَلَىٰ مَا يَحِلُّ فِي دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَإِذَا كَانَ المَرْءُ مُتَعَاقِدًا وَإِذَا كَانَ مُوَظَّفًا

وَعَامِلًا فَهُوَ مَسْتَأْجَرٌ وَأَجِيرٌ يَتَحَصَّلُ عَلَىٰ مَالٍ فَي نَظِيرِ مَنْفَعَةٍ، وَهُوَ قَدْ قَبِلَ ذَلِكَ وَأَقَرَّ بِهِ وَعَمِلَ عَلَىٰ أَسَاسِهِ فَهُوَ مُلْزَمٌ بِهِ وَمُكَلَّفٌ بِأَنْ يَأْتِي بِمَا تَعَاقَدَ عَلَيهِ، فَإِنْ أَخَلَّ فَقَدْ تَحَصَّلَ عَلَىٰ مَالٍ مَنْ غَيْرِ مُقَابِلٍ، فَتَحَصَّلَ عَلَىٰ مَالٍ مِنْ سُحْتٍ، يَنْبُتُ مِنْهُ لَحْمٌ مِنْ سُحْتٍ، وَكُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (هَدَايَا المُوَظَّفِينَ) الْجُمُعَةَ ٥ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ الْمُوَافِقَ ١٩/ ٢/ ٢٠١٠م

عِنَايَةُ الْإِسْلَامِ بِالْمَالِ:

وَعَلَى الشَّبَابِ أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى أَمْوَالِهِمْ لِأَنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

❋قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ فَيَرْضَىٰ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تُفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»(١).

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِه مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.(❋).

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم: (٣/ ١٣٤٠، رقم ١٧١٥).

وزاد مالك في «الموطأ» رواية يحيىٰ: (٢/ ٩٩٠، رقم ٢٠) وغيره: «...، يَرْضَىٰ لَكُمْ:...، أَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ،... »، وفي رواية عند أبي نعيم في «الحلية»: (٨/ ٣٢٩): «...، وَتَسْمَعُوا وَتُطِيعُوا لِمَنْ وَلَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَكُمْ،... ».

(❋) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (أُصُولُ دَعْوَتِنَا) الْجُمُعَةَ ٢٥ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٢هـ الْمُوَافِقَ ٢٣/ ٩/ ٢٠١١م

إِتْقَانُ الْعَمَلِ وَزِيَادَةُ الْإِنْتَاجِ:

وَعَلَى الشَّبَابِ أَنْ يَجْتَهِدُوا فِي الْعَمَلِ:

*فَتَمَسَّكُوا بِالسُّنَّةِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَاعْمَلُوا، اجْتَهِدُوا فِي الْعَمَلِ فَإِنَّهُ لَا خُرُوجَ مِنْ هَذِه الْأَزْمَةِ إِلَّا بِكَلِمَتَيْنِ: أَنْ يَعْمَلَ كُلٌّ مِنَّا عَلَىٰ قَدْرِ طَاقَتِهِ لَا عَلَىٰ قَدْرَ حَاجَتِهِ، لِأَنَّ النَّاسَ حَتَّىٰ هَذِهِ لَا يَعْمَلُونَهَا يَعْنِي هُمْ لَا يَعْمَلُونَ أَصْلًا لَا عَلَىٰ قَدْرِ الطَّاقَةِ وَلَا عَلَىٰ قَدْرِ الْحَاجَةِ، تَعَوَّدُوا عَلَىٰ الْأَخْذِ مِنْ غَيْرِ عَطَاءٍ وَهَذَا لَا يَرْضَاهُ اللهُ ﷻ وَلَا يَرْضَاهُ الدِّينُ الْحَنِيفُ، عِزُّكُمْ وَشَرَفُكُمْ دِينُكُمْ حَيَاتُكُمْ وَمَمَاتُكُمْ دُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ هُوَ هَذَا الدِّينُ الْحَنِيفُ.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ (دَاعِشُ وَالْإِخْوَانُ) ٢٥ / ٨ / ٢٠١٤م

حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَى الْعَمَلِ وَالسَّعْيُ فِي الْأَرْضِ:

*قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠]

(فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فتَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ لِلتِّجَارَةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي حَوَائِجِكُمْ وَمَطَالِبِ حَيَاتِكُمْ وَمَصَالِحِ دُنْيَاكُمْ وَاطْلُبُوا رِزْقَ اللهِ بِأَنَاةٍ وَرِفْقٍ مَعَ صَبْرٍ وَكَدْحٍ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ رَغْبَةً فِي الْفَوْزِ بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) .(*).

*وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥]

(فَاللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مُنْقَادَةً سَهْلَةً مُطَوَّعَةً تَحْرُثُونَهَا وَتَزْرَعُونَهَا وَتَسْتَخْرِجُونَ كُنُوزَهَا وَتَنْتَفِعُونَ مِنْ طَاقَاتِهَا وَخَصَائِصِ عَنَاصِرِهَا فَامْشُوا فِي جَوَانِبِهَا وَأَطْرَافِهَا وَنَوَاحِيهَا مَشْيًا رَفِيقًا لِتَحْصِيلِ مَطَالِبِ الْحَيَاةِ وَكُلُوا مِمَّا

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (سُورَةُ الْجُمُعَةِ) الِاثْنَيْنِ ١٨ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٣٠/ ١١ / ٢٠١٥م

خَلَقَهُ اللهُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَاكْتَسِبُوا الرِّزْقَ مِمَّا أَحَلَّ اللهُ تَعَالَىٰ لَكُمْ وَتَذَكَّرُوا يَوْمَ الْحِسَابِ وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ تُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَفَصْلِ الْقَضَاءِ وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ).(*).

*قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

(الْمَعْنَىٰ: اطْلُبْ فِي تَصَرُّفِكَ فِيمَا أَعْطَاكَ اللهُ مِنَ الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ، قَاصِدًا ثَوَابَ رَبِّكَ الَّذِي لَا يَنْفَدُ فِي الْجَنَّةِ بِأَنْ تَقُومَ بِشُكْرِ اللهِ فِيمَا أَنْعَمَ عَلَيْكَ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ تُنْفِقَ الْمَالَ الَّذِي أَعْطَاكَ فِي رِضَاهُ.

وَلَا تَفْهَمُ أَنَّنَا نَنْصَحُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ مَا آتَاكَ اللهُ مُوَجَّهًا لِتَحْصِيلِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، بَلْ نَقُولُ لَكَ أَيْضًا: لَا تَتْرُكْ حَظَّكَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي أَحَلَّهَا اللهُ لَكَ ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾.

وَأَحْسِنْ إِلَىٰ فُقَرَاءِ قَوْمِكَ وَمَسَاكِينِهِمْ وَذَوِي الضَّرُورَاتِ وَالْحَاجَاتِ فِيهِمْ بِمَالٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ بِنِعْمَتِه).(*/٢).

*وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٧-٨].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (سُورَةُ الْمُلْكِ) الِاثْنَيْنِ ١٨ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٣٠/ ١١/ ٢٠١٥م

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةُ الْقَصَصِ الْأَرْبِعَاءَ ٢٢ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٤/ ١١/ ٢٠١٥م

(فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ عَمَلٍ نَافِعٍ مُفِيدٍ يُقَرِّبُكَ إِلَىٰ اللهِ؛ فَاجْتَهِدْ فِي عَمَلٍ نَافِعٍ جَدِيدٍ، وَأَتْعِب نَفْسَكَ فِيهِ، وَلَا تُخْلِي وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِكَ فَارِغًا، وَلَا تَرْكَنْ إِلَىٰ الرَّاحَةِ وَالدَّعَةِ، وَإِلَىٰ رَبِّكَ وَحْدَهُ فَتَضَرَّعْ، وَاجعَلْ رَغْبَتَكَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي جَمِيعِ مَطَالِبِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ، وَتَرَفَّع عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَهُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ إِجَابَتِكَ وَإِسْعَافِكَ).(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةُ الشَّرْحِ الْخَمِيسَ ٢١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٢/ ١٢/ ٢٠١٥م

حَثَّ اللهُ عَلَى الْبِنَاءِ وَالتَّعْمِيرِ:

*قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَبِيلَةِ ثَمُودَ أَخَاهُمْ فِي النَّسَبِ صَالِحًا نَبِيًّا وَرَسُولًا، قَالَ: يَا قَوْم وَحِّدُوا اللهَ، وَخُصُّوهُ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ، إِنَّهُ هُوَ إِلَهُكُمُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ، لَا هَذِهِ الْأَصْنَامُ، هُوَ ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَجَعَلَكُمْ عُمَّارَهَا وَسُكَّنَاهَا.

فَإِذَا آمَنْتُمْ بِاللهِ رَبِّكُمْ وَأَنَّهُ هُوَ الْمَعْبُودُ الْحَقُّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَعَلِمْتُمْ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُمِدُّكُمْ دَوَامًا بِعَطَاءَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلَكُمْ تُقِيمُونَ فِيهَا، وَتَنْتَفِعُونَ مِنْ خَيْرَاتِهَا، فَاسْأَلُوهُ أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ مِنْ شِرْكٍ وَظُلْمٍ وَآثَامٍ، ثُمَّ بَعْدَ الِاسْتِغْفَارِ ارْجِعُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ بِتَجْدِيدِ إِيمَانِكُمْ، وَتَأْدِيَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَبِهَذِهِ التَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ إِلَيْهِ تَكُونُونَ مِنْ عِبَادِ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، مُجِيبٌ لِدُعَائِهِمْ).(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ(مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةُ هُودٍ الْأَحَدَ ٢٠ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ ١٤٣٦هـ الْمُوَافِقَ ٤/ ١٠/ ٢٠١٥م وَالِاثْنَيْنِ ٢١ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ ١٤٣٦هـ الْمُوَافِقَ ٥/ ١٠/ ٢٠١٥م

*وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٣].

(اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّحَابِ مَاءً، فَأَخْرَجَ بِذَلِكَ الْمَاءِ الْمُخْتَلِطِ بِتُرَابِ الْأَرْضِ، أَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ، وَذَلَّلَ لَكُمُ السُّفُنَ الْجَارِيَةَ عَلَىٰ الْمَاءِ وَفْقِ نِظَامِ الْطَفْوِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللهُ فِي كَوْنِهِ؛ لِأَجْلِ الِانْتِفَاعِ بِهَا فِي جَلْبِ الرِّزْقِ مِنْ بَلَدٍ لِآخَرَ، وَذَلَّلَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ تَشْرَبُونَ مِنْهَا وَتَسْقُونَ زَرْعَكُمْ، وَأَشْجَارَكُمْ، وَأَنْعَامَكُمْ، وَدَوَابَّكُمْ، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ أُخْرَىٰ.

وَذَلَّلَ اللهُ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ تَجْرِيَانِ دَائِمًا فِيمَا يَعُودُ إِلَىٰ مَصَالِحِ الْعِبَادِ، لَا يَفْتُرَانِ عَنْ حَرَكَتِهِمَا مِنْ انْقِضَاءِ عُمُرِ الدُّنْيَا وَذَهَابِهَا، وَذَلَّلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَعَاقَبَانِ فِي الظُّلْمَةِ وَالضِّيَاءِ، وَالنُّقْصَانِ وَالزِّيَادَةِ، تَسْكُنُوا فِي اللَّيْلِ وَتَسْتَرِيحُوا، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فِي النَّهَارِ وَتُدَبِّرُوا مَعَايَشَكُمْ) .(*).

*وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُمْ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ الْأَرْبِعَاءَ ٢٣ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ ١٤٣٦هـ الْمُوَافِقَ ٧/ ١٠/ ٢٠١٥م وَالْخَمِيسَ ٢٤مِنْ ذِي الْحَجَّةِ ١٤٣٦هـ الْمُوَافِقَ ٨/ ١٠/ ٢٠١٥م

مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٨٠-٨١].

(اللهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الَّتِي هِيَ مِنَ الْحَجَرِ رَاحَةً وَاسْتِقْرَارًا وَمَسْكَنًا تَسْكُنُونَهُ وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ فِي الْحَضَرِ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ - وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ- خِيَامًا يَخِفُّ عَلَيْكُمْ حَمْلُهَا فِي يَوْمِ سَيْرِكُمْ وَرَحِيلِكُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ، وَتَخِفُّ عَلَيْكُمْ -أَيْضًا- فِي إِقَامَتِكُمْ وَحَضَرِكُمْ، وَلَا تَثْقُلُ عَلَيْكُمْ فِي الْحَالَيْنِ.

وَتَتَّخِذُونَ مِنْ أَصْوَافِ الضَّأْنِ وَأَوْبَارِ الْإِبِلِ وَأَشْعَارِ الْمَعْزِ أَثَاثًا لِبُيُوتِكُمْ مِنَ الْفُرُشِ وَالْأَكْسِيَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَبَلَاغًا تَتَمَتَّعُونَ بِهِ إِلَىٰ حِينِ الْمَوْتِ.

اسْتُدِلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ طَهَارَةِ جُلُودِ الْأَنْعَامِ الَّتِي حَلَّ أَكْلُهَا، وَطَهَارَةِ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا إِذَا جُزَّ فِي الْحَيَاةِ، وَكَذَلِكَ جِلْدُ الْمَيْتَةِ مِنَ الْأَنْعَامِ إِذَا دُبِغَ.

وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ ظِلَالِ الْأَبْنِيَةِ وَالْجُدْرَانِ وَالْأَشْجَارِ مَا تَسْتَظِلُّونَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِدَارِ مَا تَسْتَكِنُّونَ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، كَالْأَسْرَادِ وَالْمَغَارَاتِ وَالْكُهُوفِ وَنَحْوِهَا، وَجَعَلَ لَكُمْ قُمُصًا وَثِيَابًا مِنَ الْقُطْنِ وَالصُّوفِ وَالْكَتَّانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، تَمْنَعُكُمْ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَدُرُوعًا تَقِيكُمْ فِي الْحَرْبِ بَأْسَ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ، وَلَا تَصِلُ السُّيُوفُ وَالرِّمَاحُ إِلَىٰ جَسَدِ مَنْ يُضْرَبُ بِشَيْءٍ مِنْهَا.

كَذَلِكَ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لَكُمْ فِيمَا مَضَىٰ، سَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ؛ فَيُمَكِّنُكُمْ مِنْ صُنْعِ أَشْيَاءَ لَا حَصَرَ لَهَا فِي الْعُصُورِ الْقَادِمَةِ بَعْدَ عَصْرِ التَّنْزِيلِ، مِمَّا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ صِنَاعَاتٍ مُذْهِلَةٍ بِإِلْهَامِ اللهِ لَهُمْ؛ رَغْبَةً فِي أَنْ تُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ لَكُمْ فِي كِتَابِهِ، وَفِي أَنْ تُسْلِمُوا مُنْقَادِينَ لَهُ فِي شَرَائِعِهِ وَأَحْكَامِهِ) .(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ(مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةُ النَّحْلِ الْخَمِيسَ ٢٤مِنْ ذِي الْحَجَّةِ ١٤٣٦هـ الْمُوَافِقَ ٨/ ١٠/ ٢٠١٥م وَالْأَحَدَ ٢٧ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ ١٤٣٦هـ الْمُوَافِقَ ١١/ ١٠/ ٢٠١٥م

أَفْضَلُ مَا أَكَلَ الْعَبْدُ مَا كَانَ مِنْ سَعْيِهِ:

* وَعَنِ الْمِقْدَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»(١) - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**».

وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَالْأَنْصَارُ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلٌ فِي أَمْوَالِهِمْ، فِي زُرُوعِهِمْ وَفِي بَسَاتِينِهِمْ.(*).

*فَالْإِسْلَامُ يَدْعُو الْمُؤْمِنِينَ بِهِ إِلَىٰ الْعَمَلِ وَيَحُثُّهُمْ عَلَىٰ السَّعْيِ وَالتَّكَسُّبِ فَهُوَ دِينٌ يُؤَكِّدُ عَلَىٰ الْحَرَكَةِ وَالْحَيَوِيَّةِ وَيَذُمُّ الْكَسَلَ وَالْخُمُولَ وَالِاتِّكَالِيَّةَ إِذْ لَا مَكَانَ فِيهِ لِلِاسْتِرْخَاءِ وَالْبَطَالَةِ وَالِاعْتِمَادِ عَلَىٰ الْآخَرِينَ وَاسْتِجْلَائِهِمْ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٤/ ٣٠٣، رقم ٢٠٧٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ (مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ) الْأَرْبِعَاءَ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ الْمُوَافِقَ ١٤/ ٧/ ٢٠١٠م

يَقُولُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنِّي لَأَرَىٰ الرَّجُلَ فَيُعْجِبُنِي فَإِذَا قِيلَ لَا حِرْفَةَ لَهُ سَقَطَ مِنْ عَيْنِي»(١).

فَالْإِسْلَامَ دِينُ عِبَادَةٍ وَعَمَلٍ، يَحُثُّ الْجَمِيعَ عَلَىٰ الْإِنْتَاجِ وَالْإِبْدَاعِ، وَيَهِيبُ بِفِئَاتِ الْمُجْتَمَعِ كَافَّةً أَنْ تَنْهَضَ وَتَعْمَلَ بِإِتْقَانٍ، وَيَقُومَ كُلٌّ بِدَوْرِهِ الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ فِيهِ؛ لِنَفْعِ الْأُمَّةِ وَإِفَادَتِهَا وَلَمْ يُحَدِّدْ الْإِسْلَامُ الْعَمَلَ فِي شَهْرٍ دُونَ آخَرَ بَلْ حَثَّ عَلَيْهِ فِي الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ كُلِّهَا.(*).

❁ ❁ ❁

(١) ذكره ابن قتيبة معلقا في «غريب الحديث»: (٢/ ٥٤)، وأخرجه ابن المرزبان في «المروءة»: (ص ٣٩ - ٤٠، رقم ٢٣)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم»: (٧/ ١١٧، رقم ٣٠٠٥)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس»: (ص ٢٥٢)، من طريق: الْمَدَائِنِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ:
بَلَغَنِي أَنَّ عُمَرَ بن الْخطاب قال: «إِنِّي لأرىٰ الرجل فَيُعْجِبنِي، فَأَقُول: هَل لَهُ حِرْفَة؟، فَإِن قَالُوا: «لَا»، قَالَ: «سَقَطَ مِنْ عَيْنِي».
وروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعا، بنحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (انْتِصَارَاتُ الْمُسْلِمِينَ فِي رَمَضَانَ) الْجُمُعَةَ ٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ الْمُوَافِقَ ٢٥ / ٥ / ٢٠١٨م

الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِنْتَاجِ:

* فَإِنَّ فِي الْعَمَلِ قُوَّةً لِلْأُمَّةِ لِكَثْرَةِ إِنْتَاجِهَا، وَإِغْنَاءِ أَفْرَادِهَا؛ فَيَعُودُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِالِاسْتِقْرَارِ النَّفْسِيِّ، وَالرِّعَايَةِ الصِّحِّيَّةِ، وَاسْتِغْنَائِهَا عَنْ أَعْدَائِهَا، وَالْمَهَابَةِ لَهَا فِي أَعْيُنِهِمْ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحِكَمِ وَالْفَوَائِدِ الَّتِي تَعُودُ عَلَىٰ الْأُمَّةِ.

قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٠٥]. (*).

* وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**» وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٌ (مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ) الْأَرْبِعَاءَ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ الْمُوَافِقَ ١٤/ ٧/ ٢٠١٠م

(٢) «الأدب المفرد» للبخاري: (ص ١٦٨ - ١٦٩، رقم ٤٧٩)، وأَخْرَجَهُ أيضا: الطَّيَالِسِيُّ في «المسند»: (٣/ ٥٤٥ رقم ٢١٨١)، وَأَحْمَدُ في «المسند»: (٣/ ١٨٣ - ١٨٤ و ١٩١)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ كما في المنتخب من «المسند»: (ص ٣٦٦، رقم ١٢١٦)، =

وَفَسِيلَةٌ: هِيَ النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ.

هَذَا فِيهِ مُبَالَغَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَىٰ غَرْسِ الْأَشْجَارِ وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ؛ لِتَبْقَىٰ هَذِهِ الدَّارُ عَامِرَةً إِلَىٰ آخِرِ أَمَدِهَا الْمَحْدُودِ الْمَعْلُومِ عِنْدَ خَالِقِهَا، فَكَمَا غَرَسَ لَكَ غَيْرُكَ فَانْتَفَعْتَ بِهِ، فَاغْرِسْ أَنْتَ لِمَنْ يَجِيءُ بَعْدَكَ لِيَنْتَفِعَ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا صَبَابَةٌ وَذَلِكَ بِهَذَا الْقَصْدِ لَا يُنَافِي الزُّهْدَ وَالتَّقَلُّلَ مِنَ الدُّنْيَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ أَحَادِيثَ فِي اسْتِثْمَارِ الْأَرْضِ وَزَرْعِهَا وَالْحَثِّ عَلَىٰ ذَلِكَ وَلَا أَدَلَّ عَلَىٰ الْحَضِّ عَلَىٰ الِاسْتِثْمَارِ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْكَرِيمَةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي مَعَنَا فَإِنَّ فِيهِ تَرْغِيبًا عَظِيمًا عَلَىٰ اغْتِنَامِ آخِرِ فُرْصَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِي سَبِيلِ زَرْعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ فَيَجْرِي لَهُ أَجْرُهُ وَتُكْتَبُ لَهُ صَدَقَتُهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.(*).

❋ ❋ ❋

=

وَالْبَزَّارُ فِي «المسند»: (١٤/ ١٧، رقم ٧٤٠٨)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ»: (٦/ ٧٥ - ٧٦، ترجمة ١٢٠٨)، مِنْ حديث: أَنَسٍ رضي الله عنه.

والحديث صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: (١/ ٣٨، رقم ٩)، وفي «صحيح الأدب المفرد»: (ص ١٨١، رقم ٣٧١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) الْمُحَاضَرَةُ (٤٠) الْأَحَدَ ٢٤ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٢هـ الْمُوَافِقَ ٢٦ / ٦ / ٢٠١١م

نَصَائِحُ لِلشَّبَابِ:

فلَقَدْ بُويعَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَىٰ النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَ«**الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(١). (*).

فَلْيَحْرِصْ الشَّابُّ عَلَى الْخَيْرِ:

*ولْيَحْرِصْ أَنْ يَكُونَ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه: «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ.**

قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ».

قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟

قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ(٣). (*/٢).

---

(١) أخرجه مسلم: (١/ ٧٤، رقم ٥٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (مَاذَا لَوْ حَكَمَ الْإِخْوَانُ مِصْرَ) الْجُمُعَةَ ٤ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٣هـ الْمُوَافِقَ ٢٥/ ٥/ ٢٠١٢م

(٣) أخرجه الترمذي: (٤/ ١٥٧، رقم ٢٣٣٠).
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/ ٣١٣، رقم ٣٣٦٣).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (دَوْرُ الشَّبَابِ فِي بِنَاءِ الدُّوَلِ وَالْحَضَارَاتِ) ٢٤ مِنْ صَفَرٍ ١٤٤١هـ الْمُوَافِقَ ٢/ ١١/ ٢٠١٨م

الْحِرْصُ عَلَى تَعَلُّمِ التَّوْحِيدِ:

*** صَلَاحُ الفَرْدِ صَلَاحٌ لِلْمُجْتَمَعِ:**

*فَإِنَّهُ لَا صَلَاحَ لِلْمُجْتَمَعِ إِلَّا بِصَلَاحِ أَفْرَادِهِ، وَلَا صَلَاحَ لِلْفَرْدِ إِلَّا بِصَلَاحِ قَلْبِهِ، وَلَا صَلَاحَ لِلْقَلْبِ إِلَّا بِالوَحِي المَعْصُومِ، لَا صَلَاحَ لِلْفُؤَادِ إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ.

وَقَدْ خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الإِنْسَانَ خِلْقَةً مُتَفَرِدَةً، فَجَعَلَهُ مِنْ جَسَدٍ وَرُوحٍ، وَجَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِكُلٍ غِذَاءَهُ، فَإِذَا أَرَادَ الإِنْسَانُ أَنْ يَعْكِسَ ذَلِكَ وَأَنْ يُخَالِفَهُ، كَانَ سَبَبًا فِي إِفْسَادِ الجَسَدِ وَالرُّوحِ عَلَىٰ السَّوَاءِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غِذَاءَ الجَسَدِ فِي الحُبُوبِ وَالبُقُولِ وَالفَوَاكِهِ وَاللُّحُومِ، وَجَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غِذَاءَ القَلْبِ وَالرُّوحِ فِي الوَحْيِ المَعْصُومِ، فَإِذَا خَالَفَ الإِنسَانُ لِلْجَسَدِ غِذَاءَهُ، فَذَهَبَ يُقِيتُهُ بِالتُّرَابِ وَالحَطَبِ وَمَا أَشْبَه، أَفْسَدَهُ وَأَهْلَكَهُ.

وَكَذَلِكَ إِذَا خَالَفَ غِذَاءَ القَلْبِ وَالرُّوحِ، فَصَارَ إِلَىٰ غَيْرِ الوَحْيِ الَّذِي أَوْحَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، أَفْسَدَ القَلْبَ وَأَعْطَبَ الرُّوحَ، وَصَارَ بِحَيْثُ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ لِلْفَرْدِ قِيمَةً عَظِيمَةً فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، فَإِذَا أَرَادَ النَّاسُ أَنْ يُصْلِحَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَحْوَالَهُمْ، فَلْيُصْلِحْ كُلَّ نَفْسِهِ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ يَسْتَهِينُ بِهَذَا الْأَمْرِ، وَيَحْسَبُ أَنَّ فَسَادَهُ لَا يُؤَثِّرُ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ شَيْئًا، لِأَنَّهُ يَحْتَقِرُ نَفْسَهُ، وَيَحْسَبُ أَنَّ طُغْيَانَهُ وَفَسَادَهُ لَا يَصُبُّ فِي النِّهَايَةِ فِي رَافِدٍ عَظِيمٍ، يَصُبُّ فِي الْمُنْتَهَىٰ فِي النَّهْرِ الْكَبِيرِ، فِي الْمُجْتَمَعِ الَّذِي أَرَادَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَحْكُومًا بِكِتَابِهِ، مَشْمُولًا بِرِعَايَةِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ بِالْمِثَالِ الْعَمَلِيِّ، فَاسْمَعْ حِكَايَةَ مَلِكٍ قَدِيمٍ، أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَ حَوْضًا مَمْلُوءًا لَبَنًا، فَأَعْلَنَ فِي مَمْلَكَتِهِ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَمْلَأَ حَوْضَهُ لَبَنًا خَالِصًا صَرِيحًا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَشَارَكَ فِيهِ، فَإِنَّهُ يَجْزِيهِ بِمَا يُمْكِنُ أَنْ يُعْطِيَهُ مِنْ جَزِيلِ الْعَطِيَّةِ وَكَرِيمِ الْمَثُوبَةِ.

وَاجْتَمَعَ اللبَّانُونَ فِي الْمَدِينَةِ وَوَزَّعُوا الْأَعْمَالَ، وَصَارَ لِكُلٍّ حِصَّةٌ، فَمِنْ مُقِلٍّ وَمُسْتَكْثِرٍ، وَأَتَىٰ الشَّيْطَانُ وَاحِدَهُمْ لَيْلًا فَقَالَ: وَمَا يَبْلُغُ دَلْوُكَ فِي الدِّلَاءِ لَوْ أَنَّكَ أَتَيْتَ بِمَلْئِهِ مَاءً، فَإِنَّ ذَلِكَ حِينَئِذٍ لَا تُكَلَّفُ بِهِ عَنَاءً وَلَا يُؤَثِّرُ فِي مَجْمُوعِ اللَّبَنِ فِي الْحَوْضِ شَيْئًا، فعَزَمَ ثُمَّ نَفَّذَ.

وَكَانَ الشَّيْطَانُ بِخُبْثِهِ وَرِجْسِهِ قَدْ أَتَاهُمْ جَمِيعًا بِالْفِكْرَةِ ذَاتِهَا، وَأَلْقَىٰ فِي أَنْفُسِهِمْ الْإِلْقَاءَ عَيْنَهُ، وَكُلٌّ يَحْسَبُ أَنَّ فِعْلَهُ وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ فِي الْمَجْمُوعِ شَيْئًا، فَلَمَّا اجْتَمَعَ فَسَادُهُمْ مَعًا صَارُوا إِلَىٰ فَسَادٍ مُحَقَّقٍ، فَأَصْبَحَ الْمَلِكُ صُبْحًا، وَإِذَا الْحَوْضُ مَمْلُوءٌ مَاءً لَا لَبَنًا، أَسَاءَ فَرْدٌ ثُمَّ أَسَاءَ آخَرُ فَأَسَاءَ مَجْمُوعٌ وَفَسَدَ مُجْتَمَعٌ.

النَّبِيُّ ﷺ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ مَا يُصْلِحُهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لَهُمْ إِلَّا بِتَوْحِيدِ رَبِّهِمْ جَلَّ وَعَلَا، فَإِصْلَاحُ الْعَقِيدَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ إِصْلَاحٌ لِلْمُجْتَمَعِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَإِذَا صَلَحَ هَذَا الْأَصْلُ، صَلَحَتْ جَمِيعُ فُرُوعِهِ، وَاسْتَقَامَتْ جَمِيعُ أَحْوَالِهِ.(*).

*أَهَمُّ شَيْءٍ تَحْرِصُ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ عَقِيدَتَكَ،أَنْ تَعْرِفَ تَوْحِيدَ رَبِّكَ، لِأَنَّ الْعِبَادَةَ مُؤَسَّسَةٌ عَلَىٰ الِاعْتِقَادِ، الْمُشْرِكُ الَّذِي يَعْبُدُ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ عِبَادَةٌ، الْمُنْفِقُ، الْمُتَصَدِّقُ، الزَّاهِدُ، الْقَائِمُ، الصَّائِمُ الْمُعْتَمِرُ، الْحَاجُّ، حَتَّىٰ الْمُجَاهِدُ، إِذَا بَنَىٰ ذَلِكَ وَأَسَّسَهُ عَلَىٰ غَيْرِ عَقِيدَةٍ صَحِيحَةٍ، فَكَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الشِّرْكِ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ الْعَمَلُ.

هَلْ تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ، كَذَلِكَ لَا يُقْبَلُ عَمَلٌ وَلَا عِبَادَةٌ بِغَيْرِ تَوْحِيدٍ، لَا نَقُولُ هُوَ شَرْطُ صِحَّةٍ فِيهَا، بَلْ هُوَ أَصْلُهَا، وَأُسُّهَا، وَأَسَاسُهَا، فَمَهْمَا عَمِلْتَ مِنْ عَمَلٍ أُسِّسَ عَلَىٰ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ صَحِيحَةٍ بِعَقِيدَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ جَاءَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْكَ عَمَلٌ، مَهْمَا عَمِلْتَ، وَمَا أَكْثَرَ الَّذِينَ يَجْتَهِدُونَ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ لَا يَزْدَادُونَ بِهِ عَنِ اللهِ إِلَّا بُعْدًا، لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا، ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ وَكَانَ عَلَىٰ قَدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

لَابُدَّ أَنْ تَتَعَلَّمَ التَّوْحِيدَ، لَابُدَّ أَنْ تَتَعَلَّمَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ، لِمَاذَا؟

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (الْمُوَحِّدُونَ) الْجُمُعَةَ ٣٠ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣١- الْمُوَافِقَ ١٤ / ٥ / ٢٠١٠م بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَقِيَ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا وَالصَّلَاةُ لَمْ تُفْرَضْ إِلَّا فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ عَلَىٰ النَّحْوِ الْمَعْرُوفِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ أَنَّ فِي مَكَّةَ وَلَا جَمَاعَةٌ، لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ- مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ-، لَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ قِتَالٌ، بَلْ كَانُوا مَأْمُورِينَ بِكَفِّ الْأَيْدِي.

الصِّيَامُ لَمْ يُفْرَضْ- صِيَامُ رَمَضَانَ- إِلَّا بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَأَمَّا الزَّكَاةُ عَلَىٰ النَّحْوِ الْمَعْرُوفِ فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ، فَما كَانُوا يَمْلِكُونَ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ، وَكَانُوا يُنْفِقُونَ عَلَىٰ إِخْوَانِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ.

إِذَنْ، إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَلَمْ يُفْرَضْ فِي مَكَّةَ حَجٌّ،وَلَا صَوْمٌ، وَلَا قِتَالٌ، وَالصَّلَاةُ تَأَخَّرَتْ للسَّنَةِ الْعَاشِرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ أَذَانٌ، وَلَا إِقَامَةٌ، وَلَا جَمَاعَةٌ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَخْفُونَ، وَمَعَ ذَلِكَ، فَكُلُّ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ طَبَقَاتِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ هَذِهِ الطَّبَقَةِ الْأُولَىٰ الْمُتَمَيِّزَةِ، هِيَ تَحْتَهَا وَدُونَهَا، لِأَنَّهُمْ حَقَّقُوا التَّوْحِيدَ.

مَاذَا كَانَ يُعَلِّمُهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟

يُعَلِّمُهُمْ عِبَادَةَ الرَّبِّ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لِوَجْهِهِ، هَذَا هُوَ الْأَمْرُ الْكَبِيرُ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَالنَّبِيُّ ﷺ بَقِيَ فِي مَكَّةَ مَا بَقِيَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الْأَصْلَ الْكَبِيرَ وَهُوَ أَصْلُ الْأُصُولِ، تَوْحِيدُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَأَيُّ بَدْءٍ فِي مَعْرِفَةِ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَكُونُ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ النُّقْطَةِ، هُوَ سَيْرٌ عَلَىٰ غَيْرِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، حَقِّقْ عَقِيدَتَكَ أَوَّلًا، حَتَّىٰ تَعْرِفَ رَبَّكَ، وَتَعْرِفَ دِينَكَ، وَتَعْرِفَ عَقِيدَتَكَ.

وَأَنَا أَقُولُ لَكَ: مَا أَكْثَرَ مَنْ رَأَيْنَاهُمْ مِنَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَهُمْ جُهْدٌ كَبِيرٌ ظَاهِرٌ فِي مَسْأَلَةِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَإِذَا سَأَلْنَا الْوَاحِدَ مِنْ هَؤُلَاءِ، فَقُلْنَا لَهُ: مَا هِيَ عَقِيدَتُكَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؟ لَا يَعْرِفُ شَيْئًا، إِذَا قُلْنَا لَهُ: مَا هِي عَقِيدَتُكَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَاءِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ وَصِفَاتِهِ؟ لَا يَعْرِفُ شَيْئًا

أَهَمُّ شَيْءٍ اعْتِقَادُكَ، لِأَنَّ الْمَرْءَ إِذَا لَقِيَ رَبَّهُ مُشْرِكًا، لَنْ يَغْفِرَ لَهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨]

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعَلِّمَنَا عَقِيدَتَنَا وَدِينَنَا.(*).

*وَقَدْ جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ دِينَ الْإِسْلَامِ دَائِرًا عَلَىٰ كَلِمَتَيْنِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»:

أَلَّا يُعْبَدَ إِلَّا اللهُ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ، التَّوْحِيدُ وَالِاتِّبَاعُ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ اللهَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَعْرِفَةُ اللهِ مَرْكُوزَةٌ فِطْرَةً فِي الْأَنْفُسِ وَالْقُلُوبِ وَالْفِطَرِ، وَلَكِنْ يُغَشِّي عَلَىٰ الْفِطْرَةِ مَا يُغَشِّي مِمَّا ذَخَرَ بِهِ مُجْتَمَعُ الْمُسْلِمِينَ، الْكُلُّ يَتَدَاعَىٰ إِلَىٰ الْقَصْعَةِ بِثَرِيدِهَا، وَيْحَكُمْ أَلَّا تُفِيقُونَ؟!!

دَعُوا الْخِلَافَ جَانِبًا، عِنْدَكُمْ أَصْلٌ مَتِينٌ، لَا يَصِحُّ لَكُمْ إِلَّا بِهِ الدِّينُ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ تَوْحِيدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ حَقِّقُوهُ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْمُخْتَلِفِينَ لَيْسُوا بِمُوحِّدِينَ،

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ (أَهَمِّيَّةُ الْعَقِيدَةِ) الْأَحَدَ ٧ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢هـ الْمُوَافِقَ ٢٠١١/٨/٧م

أَكْثَرُهُمْ جَهَلَةٌ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ، أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، زَائِغٌ فِي هَذَا الْبَابِ، ضَالٌّ مُنْحَرِفٌ، أَكْثَرُهُمْ زَائِغٌ ضَالٌّ فِي بَابِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَلِلْوَاحِدِ مِنْهُمْ قَدَمٌ رَاسِخٌ فِي مَجَالِهِ وَفِي دَعْوَتِهِ وَفِي اخْتِلَافِهِ وَخِلَافِهِ وَشَغْبِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يُصَحِّحْ عَقِيدَتَهُ، وَلَمْ يُصَحَّحْ لِأَتْبَاعِهِ عَقِيدَتَهُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

تَعَلَّمْ عَقِيدَتَكَ وَاحْرِصْ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ الْقَصْعَةَ تَتَدَاعَىٰ عَلَيْهَا الْأُمَمُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ، فِي دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَخَادِعِهِمْ.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (عَقَائِدُ الْكُفْرِ تَغْزُو الشَّبَابَ) الْجُمُعَةَ ٥ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٠هـ الْمُوَافِقَ ٢٩/ ٥/ ٢٠٠٩م

النَّصِيحَةُ: بِالتَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ:

وَعَلَيْكُمْ مَعْشَرَ الشَّبَابِ أَنْ تَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَفِيهِمَا الْعِصْمَةُ وَالنَّجَاةُ:

* فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَكْمُلُ عَقْلُهُ إِلَّا بِتَمَامِ الِاتِّبَاعِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا نَقَصَ مِنْ عَقْلِهِ فَهُوَ بِحَسَبِ تَخَلُّفِهِ عَنِ اتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ جَانَبُوا هَدْيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِذَا تَجِدُهُمْ أَكْثَرَ النَّاسِ اقْتِحَامًا لِلْحَرَامِ وَتَعَدِّيًا لِحُدُودِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ قِلَّةِ عُقُولِهِمْ وَمِنْ مُجَانَبَتِهِمْ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَكْثُرَ الْهَرْجُ**».

قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**الْقَتْلُ الْقَتْلُ الْقَتْلُ**» ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لَنَقْتُلُ فِي الْعَامِ الأَلْفَ وَالأَلْفَيْنِ.

قَالَ: «**لا أَعِنِّي ذَلِكَ، وَلَكِنْ قَتْلَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَقْتُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَنَحْنُ أَحْيَاءُ نَعْقِلُ.

قَالَ: «**يُمِيتُ اللهُ قُلُوبَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ كَمَا يُمِيتُ أَبْدَانَهُمْ**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَأْتِيَ عَلَىٰ النَّاسِ يَوْمٌ لا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ**».

فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟

قَالَ: «الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ». وهَذَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(٢).

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ**».

قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ ؟

قَالَ: «**الْقَتْلُ إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمْ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، حَتَّىٰ يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَيَقْتُلَ أَخَاهُ، وَيَقْتُلَ عَمَّهُ، وَيَقْتُلَ ابْنَ عَمِّهِ**».

قَالُوا: وَمَعَنَا عُقُولُنَا يَوْمَئِذٍ؟

قَالَ «**إِنَّهُ لَتُنْزَعُ عُقُولُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيُخَلَّفُ لَهُ هَبَاءٌ -وَيُخَلَّفُ لَهُم هَبَاءٌ- مِنَ النَّاسِ، يَحْسِبُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ، وَلَيْسُوا عَلَىٰ شَيْءٍ**».

---

(١) أخرجه الحارث ابن أبي أسامة كما في الزوائد علىٰ «المسند»: (٢/ ٧٨٦، رقم ٧٩١)، وأبو يعلىٰ في «المسند»: (١١/ ١٨٤، رقم ٦٢٩٣).
والحديث أصله في الصحيحين مختصرا: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَكْثُرَ الْهَرْجُ» قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ».

(٢) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٢٣١، رقم ٢٩٠٨).

قَالَ أَبُو مُوسَىٰ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجًا، إِنْ أَدْرَكَتْنِي وَإِيَّاكُمْ، إِلَّا أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا لَمْ نُصِبْ مِنْهَا دَمًا وَلَا مَالًا». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ(١).

وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ» قُلْنَا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ «الْقَتْلُ الْقَتْلُ، حَتَّىٰ يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَابْنَ عَمِّهِ، وَأَبَاهُ»، قَالَ: فَرَأَيْنَا مَنْ قَتَلَ أَبَاهُ زَمَانَ الأَزَارِقَةِ).

هَذَا النَّصُّ أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَىٰ فِي الْمُسْنَدِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ(٢).

وَأَمَّا الْأَزَارِقَةُ فَهُمْ أَتْبَاعُ أَبِي رَاشِدٍ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ بْنِ قَيْسٍ الْحَنَفِيِّ الْبَكْرِيِّ الْوَائِلِيِّ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، صَحِبَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ثُمَّ كَانَ مِنْ أَنْصَارِ الثَّوْرَةِ عَلَىٰ عُثْمَانَ رضي الله عنه، وَمِمَّنْ وَالَىٰ عَلِيًّا رضي الله عنه، إِلَىٰ أَنْ خَرَجَ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٤/ ٣٩١ - ٣٩٢ و ٤٠٦ و ٤١٤)، وأبو يعلىٰ في «المسند»: (١٣/ ٢٠٣، رقم ٧٢٣٤)، وابن حبان: (١٥/ ١٠٣، رقم ٦٧١٠).
والحديث صححه الألباني في «الصحيحة»: (٤/ ٢٤٨ - ٢٥٠، رقم ١٦٨٢)، وأصله في الصحيحين بلفظ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ».

(٢) أخرجه ابن ماجه: (٢/ ١٣٠٩، رقم ٣٩٥٩)، والبخاري في «الأدب المفرد»: (ص٥٤، رقم ١١٨)، وأحمد: (٤/ ٤٠٦)، وأبو يعلىٰ: (١٣/ ٢٠٣، رقم ٧٢٣٤)، واللفظ له.
والحديث صحح إسناده الألباني في «الصحيحة»: (٤/ ٢٤٨-٢٥٠، رقم ١٦٨٢) و(٧/ ٥٦٣، رقم ٣١٨٥).

عَلِيٍّ رضي الله عنه فِي حَرُورَاءَ، وَكَانَ ابْنِ الْأَزْرَقِ جَبَّارًا فتَّاكًا سَفَّاكًا لِلدِّمَاءِ وَمِنْ أَشَدِّ الْخَوَارِجِ تطرُّفًا، قُتِلَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ.

والأَزَارِقَةُ وَهُمْ أَتْبَاعُهُ يُكَفِّرُونَ عُثْمَانَ وَعليًّا والزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ كَمَا يُكفِّرُونَ القَعَدَةَ عَنِ الْقِتَالِ مَعَهُمْ، وَقَالُوا بِكُفْرِ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ وَخُلُودِهِمْ فِي النَّارِ وَأَنَّ دَارَ مُخَالِفِيهِمْ دَارُ كُفْرٍ وَهُمْ فِرْقَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ.

وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَأَخَاهُ وَأَبَاهُ**» أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي (الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

فَهَذا الْهَبَاءُ الَّذِي ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ كَثْرَةِ الْفِتَنِ حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَا يُمَيِّزُ عِنْدَ الْقَتْلِ مَنْ قُتِلَ وَلَا الْمَقْتُولُ يَدْرِي فِيمَ قُتِلَ، فنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْصِمَنَا مِنْ ذَلِكَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ وَفَضْلِهِ وَهُوَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ.

مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّ الْكُفَّارَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْكُمْ مَا دُمْتُمْ تَتْلُونَ الْوَحْيَيْنِ (الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ**﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١]

فَهَا هُنَا فَائِدَتَانِ:

الْأُولَىٰ: عِصْمَةُ أَتْبَاعِ الْوَحْيَيْنِ مِنَ الْكُفْرِ (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ) هُوَ كِتَابُهُ الْمَجِيدُ (وَفِيكُمْ رَسُولُهُ) فِي حَالِ حَيَاتِهِ وَفِيكُمْ سُنَّتُهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَمَا يَأْتِي الْحَدِيثُ عَنْهُ ﷺ.

فَهَا هُنَا فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ وَهِيَ: عِصْمَةُ أَتْبَاعِ الْوَحْيَيْنِ (الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ) مِنَ الْكُفْرِ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (يَعْنِي أَنَّ الْكُفْرَ بَعِيدٌ مِنْكُمْ وَحَاشَاكُمْ مِنْهُ؛ فَإِنَّ آيَاتِ اللهِ تَنْزِلُ عَلَىٰ رَسُولِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَهُوَ يَتْلُوهَا عَلَيْكُمْ وَيُبَلِّغُهَا إِلَيْكُمْ).

وَأَمَّا الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ اقْتَصَرَ عَلَىٰ ذِكْرِ أَعْظَمِ كَيْدٍ يُدَبِّرُهُ الْكُفَّارُ لِلْمُسْلِمِينَ وَهُوَ إِرَادَةُ تَكْفِيرِهِمْ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي الْآيَةِ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة:١٠٩].

فَكَأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: مَهْمَا كَانَ مَكْرُهُمْ الْكُبَّارُ الَّذِي تَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦]، فَإِنَّ إِيمَانَكُمْ لَا يَزُولُ عَنْكُمْ مَا أَقَمْتُمْ عَلَىٰ تِلَاوَةِ الْوَحْيِ (كِتَابًا وَسُنَّةً)، وَلَيْسَ هَذَا غَرِيبًا عَلَىٰ مَنْ أَيْقَنَ بِقَلْبِهِ أَنَّ اللهَ جَعَلَ مَعِينَ الْحَيَاةِ فِي الْوَحْيِ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤]، وَأَعْظَمُ الْحَيَاتَيْنِ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَأَحْيَا النَّاسِ أَتْبَعُهُمْ لِلْوَحْيِ، وَهُوَ آمَنُهُمْ مِنَ الضَّلَالِ، وَبِهَذَا يَدِقُّ فَهْمُكَ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**» رَوَاهُ مَالِكٌ وَالْحَاكِمُ وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

---

(١) ذكره مالك بلاغا في «الموطأ» رواية يحيىٰ: (٢/ ٨٩٩، رقم ٣)، وأخرجه موصولا ابن أبي عاصم في «السنة»: (٢/ ٦٤٤، رقم ١٥٥٧)، والمروزي في «السنة»: (ص ٢٥ – =

وَمِنْ هُنَا تَعْلَمُ جَرِيمَةَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصْرِفُوا الْأُمَّةَ عَنِ السُّنَّةِ وَأَنْ يُشَكِّكُوهَا فِي أَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْكُفْرَ لِأَبْنَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، لِأَنَّ أَبْنَاءَ الْأُمَّةِ إِنْ لَمْ يَتَمَسَّكُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ نَفَذَ فِيهِمْ قَدَرُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا بِإِرَادَةِ تَكْفِيرِهِمْ وُقُوعًا، كَمَا يُرِيدُ ذَلِكَ أَهْلُ الْكِتَابِ وَغَيْرُهُمْ، وَالْعِصْمَةُ مِنْ ذَلِكَ كَمَا مَرَّ التَّمَسُّكُ بِـ(الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

فَمِنْ هُنَا تَعْلَمُ أَنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الطَّعْنَ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَيُشَكِّكُونَ فِيهَا بِالتَّشْكِيكِ فِي حَمَلَتِهَا وَنَقَلَتِهَا بَدْءًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ عَصْرِ التَّدْوِينِ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا يُرِيدُونَ صَرْفَ الْأُمَّةِ عَنِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، بَلْ أَنَّهُمْ يَتَرَقَّوْنَ بِذَلِكَ إِلَىٰ الطَّعْنِ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ.

كَمَا قِيلَ لِأَبِي زُرْعَةَ إِنَّ قَوْمًا يَطْعَنُونَ فِي الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم فَقَالَ: «أُولَئِكَ زَنَادِقَةٌ، وَهُمْ إِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَطْعَنُوا فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنْ يُشَكِّكُوا فِي الدِّينِ لِأَنَّهُ

=

٢٦، رقم ٦٨)، والعقيلي في «الضعفاء»: (٢/ ٢٥٠، ترجمة عَبْدُ اللهِ بْنُ دَاهِرٍ)، والآجري في «الشريعة»: (٥/ ٢٢٢٠ - ٢٢٢١، رقم ١٧٠٥)، والحاكم: (١/ ٩٣، رقم ٣١٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ»: (١٠/ ١١٤)، من حديث: ابنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما.

والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ١٢٤ - ١٢٥، رقم ٤٠)، وله شاهد من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

وبنحوه في «صحيح مسلم»: (٢/ ٨٨٦ - ٨٩٠، رقم ١٢١٨) من رواية جابر رضي الله عنه، بدون ذكر السنة، بلفظ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ»، وزاد الترمذي في «الجامع»: (٥/ ٦٦٢، رقم ٣٧٨٦): «...، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي».

إِذَا سَقَطَتْ الْعَدَالَةُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ذَهَبَتِ الثِّقَةُ بِمَرْوِيَّاتِهِمْ وَهُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا السُّنَّةَ وَهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ الَّذِينَ نَقَلُوا الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ، ثُمَّ إِنَّهُ يُقَالُ بَعْدَ ذَلِكَ رَجُلُ سُوءٍ كَانَ حَوْلَهُ رِجَالُ سُوءٍ، وَلَوْ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا لَكَانَ حَوْلَهُ رِجَالٌ صَالِحُونَ».

فَتَأَمَّلْ فِي هَذَا حَتَّىٰ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ مَقْصِدَ الْقَوْمِ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرُدَّ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ.

إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ حَيَاةَ الْقَلْبِ فِي الِاسْتِجَابَةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ بِالْوَحْيَيْنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤]

أَعْظَمُ الْحَيَاتَيْنِ حَيَاةُ الْقَلْبِ وَأَحْيَا النَّاسِ أَتْبَعُهُمْ لِلْوَحْيِ.

قَالَ الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرِ رضي الله عنه: «لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، فَإِنِّي أَخْشَىٰ إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ» أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ(١)، فَهَذَا صِدِّيقُ الْأُمَّةِ يَخْشَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ الِانْحِرَافَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إِنْ هُوَ فَرَّطَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ مَعَ أَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ شَدِيدَ التَّمَسُّكِ بِمَا دَقَّ وَجَلَّ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَكَيْفَ قَرَّتْ أَعْيُنُ الْمُبْتَدِعَةِ وَهَدَأَتْ جُفُونُهُمْ؟

---

(١) أخرجه البخاري: (٦/ ١٩٧، رقم ٣٠٩٢)، ومسلم: (٣/ ١٣٨٠-١٣٨١، رقم ١٧٥٩).

وَقَدْ رَوَىٰ الشَّيْخَانِ(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنْ الْعَرَبِ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ**».

فَقَالَ الصِدِّيقُ رضي الله عنه: «وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهِ».

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ»(٢).

فَتَأَمَّلْ هَذَا الْحِرْصُ الشَّدِيدُ عَلَىٰ أَدَاءِ الْوَاجِبِ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهِ الَّتِي كَانَتْ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَوْ كَانَتْ فِي تَقْدِيمِ أَحْقَرِ شَيْءٍ، «لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهِ).

وَلَمَّا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ وَكَذَا كَانَ إِخْوَانُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ أَجْمَعِينَ لَمَّا كَانَ الرُّسُلُ أَتْبَعَ الْخَلْقِ لِلْوَحْيِ اقْتَرَنَ بِهِمْ مِنْ تَأْيِيدِ اللهِ أَكْمَلُهُ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة:٢١]

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ٧٥، رقم ٢٥)، ومسلم: (١/ ٥٣، رقم ٢٢)

(٢) أخرجه البخاري: (٣/ ٢٦٦، رقم ١٣٩٩)، ومسلم: (١/ ٥١، رقم٢٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣]

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]

وَمَنْ كَانَ مُتَّبِعًا لَهُمْ كَانَ لَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ مِنَ التَّأْيِيدِ وَالنُّصْرَةِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا لِمُوسَىٰ وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَلِأَتْبَاعِهِمَا: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص:٣٥]

وَقَالَ لِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِأَتْبَاعِهِ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:٥٥]

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ(١): «فَلَمَّا كَانَ لِلنَّصَارَىٰ نَصِيبٌ مَا مِنْ اتِّبَاعِهِ كَانُوا فَوْقَ الْيَهُودِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَمَّا كَانَ الْمُسْلِمُونَ أَتْبَعَ لَهُ مِنَ النَّصَارَىٰ كَانُوا فَوْقَ النَّصَارَىٰ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «وَلِهَذَا كُلُّ مَنْ كَانَ مُتَّبِعًا لِلرَّسُولِ كَانَ اللهُ مَعَهُ بِحَسَبِ هَذَا الِاتِّبَاعِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤]

---

(١) «إغاثة اللهفان»: (٢/ ٩٣٠).

(٢) «منهاج السنة»: (٨/ ٤٨٧).

أَيْ حَسْبُكَ وَحَسْبُ مَنِ اتَّبَعَكَ، فَكُلُّ مَنِ اتَّبَعَ الرَّسُولَ مِنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ حَسْبُهُ، وَهَذَا مَعْنَىٰ كَوْنِ اللهِ مَعَهُ، وَالْكِفَايَةُ الْمُطْلَقَةُ مَعَ الِاتِّبَاعِ الْمُطْلَقِ، وَالنَّاقِصَةُ مَعَ النَّاقِصِ، وَإِذَا كَانَ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ الْمُتَّبِعِينَ لَهُ قَدْ حَصَلَ لَهُ مَنْ يُعَادِيهِ عَلَىٰ ذَلِكَ فَاللهُ حَسْبُه، وَهُوَ مَعَهُ وَلَهُ نَصِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

فَإِنَّ هذَا قَلْبُهُ مُوَافِقٌ لِلرَّسُولِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَحِبَهُ بِبَدَنِهِ، وَالْأَصْلُ فِي هَذَا الْقَلْبِ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ[1] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ رِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ».

قَالُوا: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟

قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ».

فَهَؤُلَاءِ بِقُلُوبِهِمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ أَصْحَابِهِ الغُزَاةِ، فَلَهُمْ مَعْنَىٰ صُحْبَتِهِ فِي الْغَزَاةِ، فَاللهُ مَعَهُمْ بِحَسَبِ تِلْكَ الصُّحْبَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ»، إِذِ الْعِبْرَةُ بِالْقَلْبِ، وَالصُّحْبَةُ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْقَلْبِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ بِالْجَسَدِ- فَإِذَا كُنْتَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ مُتَّبِعًا لَهُ نَاصِرًا لِسُنَّتِهِ قَائِمًا بِأَمْرِهِ فَلَكَ مِنَ الصُّحْبَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ بِقَدْرِ اتِّبَاعِكَ وَحِينَ إِذْ يَكُونُ لَكَ نَصِيبٌ مِنْ قَوْلِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ

(١) كذا قال، والحديث في «صحيح البخاري»: (٦/ ٤٦-٤٧، رقم ٢٨٣٨ و٢٨٣٩) و(٨/ ١٢٦، رقم ٤٤٢٣).

﴿ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] فَعَلَىٰ قَدْرِ صُحْبَةِ قَلْبِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ تَكُونُ الْمَعِيَّةُ الْخَاصَّةُ بِالْكِفَايَةِ وَالْكَلَاءَةِ وَالْحِرْصِ وَالنُّصْرَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ(كَيْفَ تَصْحَبُ النَّبِيَّ ﷺ) الْجُمُعَةَ ٨ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٦هـ الْمُوَافِقَ ٢٧/ ٢/ ٢٠١٥م

النَّصِيحَةُ: بِالْحَذَرِ مِنَ الْبِدَعِ وَأَهْلِهَا مِنَ الْجَمَاعَاتِ الْمُنْحَرِفَةِ وَالْفِرَقِ الضَّالَّةِ:

وَعَلَى الشَّبَابِ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ وَيَحْذَرُوا مِنَ الْبِدَعِ وَأَهْلِهَا مِنَ الْفِرَقِ الْمُنْحَرِفَةِ وَالْجَمَاعَاتِ الضَّالَّةِ:

*فَعَن أَبِي وَاقِدٍ اللَيثِيُ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: وَنَحنُ جُلُوسٌ عَلَىٰ بِسَاطٍ «**إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَة.**

قَالُوا: وَكَيفَ نَفعَلُ يَا رَسُولَ الله؟

فَرَدَّ يَدَهُ إِلَىٰ البِسَاطِ فَأَمسَكَ بِهِ فَقَالَ: تَفعَلُونَ هَكَذَا».

وَذَكَرَ لَهُم رَسُولُ اللهِ يَومًا «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَة، فَلَمْ يَسْمَعهُ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ.

فَقَالَ مُعَاذُ ابن جَبَلٍ: أَلَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟!

فَقَالُوا: مَا قَالَ؟

قَالَ: إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَة.

فَقَالُوا: فَكَيْفَ لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟

وَكَيفَ نَصْنَعُ؟

قَالَ: تَرْجِعُونَ إِلَىٰ أَمْرِكُم الأَوَّل». أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي (الكَبِيرِ) وَ(الأَوْسَطِ) وَالهَيْثَمِيُّ فِي (المَجْمَعِ) وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُ فِي (السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ)(١).

فِي هَذَا الحَدِيث، يُخبِرُنَا أَبُو وَاقِدٍ اللَيْثِيُ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُم وَهُم جُلُوسٌ عَلَىٰ بِسَاطٍ: إِنَّهَا سَتكُونُ فِتْنَة.

قَالُوا: وَكَيفَ نَفعَلُ يَا رَسُولَ الله؟

فَرَدَّ يَدَهُ إِلَىٰ البِسَاطِ فَأمسَكَ بِهِ فَقَالَ: تَفعَلُونَ هَكَذَا- أَي أَمْسَكَ البِسَاطَ، أَي أَنَّ المَخْرَجَ لِأُمَّتِهِ عِنْدَمَا تَكُونُ الفِتْنَة، أَنْ تَتَمَسَّكَ بِالدِّينِ - فَلَمْ يَسْمَعَهُ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ.

فَقَالَ مُعَاذُ ابن جَبَلٍ: أَلَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ رَسُولُ ﷺ؟!

فَقَالُوا: مَا قَالَ؟

قَالَ: إِنَّهَا سَتكُونُ فِتْنَة.

فَقَالُوا: فَكَيْفَ لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَكَيفَ نَصْنَعُ؟

فَقَالَ: تَرْجِعُونَ إِلَىٰ أَمْرِكُم الأَوَّل، فَإِنَّ التَّمَسُّكَ بِالدِّينِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ الأَمْرِ الأَوَّلِ.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير»: (٢/ ٢٨١-٢٨٢، رقم ٣٣٠٧) و(٢٠/ ٤٣-٤٤، رقم ٦٩)، وفي «الأوسط»: (٨/ ٢٩٤-٢٩٥، رقم ٨٦٧٩).
والحديث صححه الألباني في «الصحيحة»: (٧/ ٤٩٦-٤٩٨، رقم ٣١٦٥).

فَهَذَا الحَدِيث، يُرْشِدُنَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ المَخْرَجِ مِنْ الفِتَنِ، وَالمَشَاكِلِ وَالقَلَاقِلِ، وَالمَضَائِقِ وَالانْحِرَافَاتِ، وَالتَّفَرُّقِ وَالبِدَعِ، وَيُرْشِدُنَا إِلَىٰ الخُرُوجِ مِنْ الذُّلِ الَّذِي يُصِيبُ الأُمَّة، وَهُوَ أَنْ يَرْجِعَ آخِرُ الأُمَّةِ إِلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّىٰ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، فَهُوَ أَهْلُ الأَمْرِ الأَوَّلِ وَأَصْحَابُهُ فِي هَذِهِ الأُمَّة، وَهُم أَهْلُ القَرْنِ الأَوَّلِ، وَهُم خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّة.

قَالَ أَبُو العَالِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ:«عَلَيْكُم بِالأَمْرِ الأَوَّلِ، الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا».

وَهَذَا الحَدِيث يُشْبِهُ بِمَعْنَاهُ، وَيَزِيدُهُ بَيَانًا وَوُضُوحًا، حَدِيثُ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدين «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُم بَعْدِي فَسَيَرَىٰ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَة**»(١).

وَيُشْبِهُ أَيضًا حَدِيثَ افْتِرَاقِ الأُمَّة «**وَستَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَة، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَة**.

---

(١) أخرجه أبو داود: (٧/ ١٦، رقم ٤٦٠٧)، والترمذي: (٤/ ٤٠٨ - ٤٠٩، رقم ٢٦٧٦)، وابن ماجه: (١/ ١٥ - ١٧، رقم ٤٢ و ٤٣ و ٤٤)، من حديث: الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «إرواء الغليل»: (٨/ ١٠٧ - ١٠٩، رقم ٢٤٥٥).

قَالُوا: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَومَ وَأَصْحَابِي»(١).

فَبِالجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الأَحَادِيث، يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ الفِتْنَةَ هِيَ: البِدَعُ، وَالتَّفَرُّقُ، والاخْتِلَافُ الكَثِير، وَأَنَّ قَوْلَهُ: (تفعَلُونَ هَكَذَا)، وَقَولَهُ: «تَرْجِعُونَ إِلَىٰ أَمْرِكُم الأَوَّل»: مَعْنَاهُ الرُّجُوعُ وَالتَّمَسُّكُ بِسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِين، وَمِنْهَاجِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِين، أَي التَّمَسُّكُ بِمِنْهَاجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

---

(١) أخرجه الترمذي: (٤/ ٣٨١، رقم ٢٦٤١)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلاَنِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

وزاد الحاكم (١/ ١٢٨ - ١٢٩) في روايته: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ.. »، وللأصبهاني في «الترغيب والترهيب»: (١/ ٥٢٩، رقم ٩٦٥): «مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ.. ».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ مُفَسَّرٌ غَرِيبٌ»، وحسنه لغيره الألباني في «صحيح الجامع»: (٢/ ٩٤٣ - ٩٤٤، رقم ٥٣٤٣)، وقال في «الصحيحة»: (١/ ٤٠٥ - ٤١٤، رقم ٢٠٤): «الحديث ثابت لا شك فيه، وتتابع العلماء خلفا عن سلف علىٰ الاحتجاج به، ولا أعلم أحدا قد طعن فيه إلا بعض من لا يعتد بتفرده وشذوذه»، وقال في هامش «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ١٢٩): «وإنّ مما يجب أنْ يعلم أن التمسك بما كانوا عليه هو الضمان الوحيد للمسلم أن لا يضل يميناً وشمالاً، وهو مما يغفل عنه كثير من الأحزاب الإسلامية اليوم، فضلاً عن الفرق الضالة».

وحديث الافتراق روي أيضا عن معاوية وأَبِي هُرَيْرَةَ وعَوْفِ بْنِ مَالِكٍ وأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وأبي أمامة وعلي رضي الله عنهم، بنحوه.

إِذًا فَالدِّينُ الَّذِي يَجِبُ عَلَينَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَيْهِ، هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم، حَيثُ لَا خَارِجِيَّةَ، وَلَا شِيعِيَّةَ، وَلَا قَدَرِيَّةَ، وَلَا صُوفِيَّةَ، وَلَا مَذْهَبِيَّةَ، وَلَا حِزْبِيَّةَ، وَلَا قُطْبِيَّةَ، وَلَا إِخْوَانِيَّةَ.

وَلَمَّا خَرَجَتْ أَوَائِلُ الفِرَقِ فِي زَمَنِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ تَبَرَّأَ الصَّحَابَةَ مِنْهُم، وَعَادَوْهُم بَلْ وَقَاتَلُوهُم، لِأَنَّ مِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ البِدَعِ اِتِّبَاعَ الهَوَىٰ ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣].

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٥٠]

وَفِي الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَسْتَجِب لِلرَّسُول، وَذَهَبَ إِلَىٰ قَوْلٍ مُخَالِفٍ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ، فَإِنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَىٰ هُدًىٰ، وَإِنَّمَا ذَهَبَ إِلَىٰ هَوًىٰ، وَالقِسْمَةُ ثُنَائِيَّة، إِمَّا اتِّبَاعُ الرَّسُولِ ﷺ وَإِمَّا اتِّبَاعُ الهَوَىٰ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣]

قَالَ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ(١): «أَي: إِنَّمَا يَأْتَمِرُ بِهَوَاهُ، فَمَهْمَا رَآهُ حَسَنًا فَعَلَهُ، وَمَهْمَا رَآهُ قَبِيحًا تَرَكَه».

وَعَنْ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللهُ: «لَا يَهْوَىٰ شَيْئًا إِلَّا عَبَدَه» إِذَا حَكَمَ الهَوَىٰ اسْتَغْلَقَ العَقْل، وَسُدَّتْ مَنَافِذُ التَّفْكِير، فَلَا نَظَرَ إِلَىٰ الآيَاتِ البَيِّنَاتِ، وَلَا إِلَىٰ الدَّلَالَاتِ

(١) «تفسير القرآن العظيم»: (٧/ ٢٦٨).

الوَاضِحَاتِ، لِأَنَّ الهَوَىٰ يَرُدُّ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُعْرِضُ عَنهُ، فَيُصْبِحُ المَرْءُ أَسِيرًا لِسُلطَانِ الهَوَىٰ، تَخْتَلِطُ عَلَيْهِ المَسَالِك، وَتَشْتَبِهُ عَلَيْهِ الدُّرُوب، وَتُظْلِمُ فِي طَرِيقِهِ سُبُلُ الحَقِ وَالهِدَايَةِ،

❁ ❁ ❁

مِنْ أَبْرَزِ عَلَامَاتِ أَهْلِ الْبِدَعِ:

وَاتِّبَاعُ الهَوَىٰ أَبْرَزُ صِفَاتِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَالبِدَعِ، وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَن لِزُومِ اتِّبَاعِ الهَوَىٰ لِأَهْلِ البِدَعِ، وَأَنَّهُ لَا يَنْفَكُّ عَنهُم بِحَال.

فَعَن أَبِي عَامِرٍ الهَوْزَنِي: أَنَّ مُعَاوِيَةَ ابنَ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه قَامَ فِيهِم فَقَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِينَا فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُم مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، افْتَرَقُوا عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةٍ، وَإِنَّ هَذِهِ المِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَهِيَ الجَمَاعَة، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَىٰ بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاء، كَمَا يَتَجَارَىٰ الكَلَبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَىٰ مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ»(١). وَالحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَحمَد وَأَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِي.

وَالكَلَبُ: دَاءٌ يَعْرِضُ لِلإِنْسَانِ الكَلِبْ.

الكَلَبُ: دَاءٌ يُصِيبُ الكَلْبَ فَيُصِيبُهُ شِبْهُ الجُنُون، فَلَا يَعَضُّ أَحَدًا إِلَّا كَلِبَه وَتَجَارَىٰ بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاء: أَي تَنْتَشِرُ بَيْنَهُم وَتُلَازِمُهُم.

---

(١) أخرجه أبو داود: (٤/ ١٩٨، رقم ٤٥٩٧).

والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ١٢٩، رقم ٥١).

قَالَ الإِمَامُ البَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ[١]: «وَاعْلَم أَنَّ الأَهْوَاءَ كُلَّهَا رَدِيَّة، تَدْعُوا كُلُّهَا إِلَىٰ السَّيْفِ»،

وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَجْلِسُ مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ فَاحْذَرْهُ، وَعَرِّفْهُ، فَإِنْ جَلَسَ مَعَهُ بَعْدَمَا عَلِمَ فَاتَّقِهِ، فَإِنَّهُ صَاحِبُ هَوًىٰ»

مِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ البِدَعِ أَنَّهُم يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ، مِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ البِدَعِ أَنَّهُم لَا يَؤُلُونَ إِلَىٰ كِتَابٍ مُنِيرٍ وَلَا إِلَىٰ سُنَّةٍ صَحِيحَةٍ ثَابِتَة، وَإِذَا دُعُوا إِلَىٰ ذَلِكَ أَعْرَضُوا عَنهُ، لِأَنَّهُم إِنَّمَا اتَّخَذُوا أَهْوَاءَهُم مَعْبُودَاتٍ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ حَذَّرَ مِنهُم، وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ اتِّبَاعِهِم لِأَهْوَائِهِم، يُعَارِضُونَ السُّنَّةَ بِالقُرْءَان، فَلَا يَسْتَقِيمُونَ عَلَىٰ سَبِيلٍ، وَلَا تَسْتَقِرُّ أَقْدَامُهُم عَلَىٰ صِرَاط، لِأَنَّ التَّنَقُّلَ وَالاخْتِلَافَ مِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ البِدَعِ.

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَن هَذِهِ السِّمَة مِنْ سِمَاتِ أَهْلِ البِدَعِ فَقَالَ ﷺ: فِي الحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أحمَد وَأَبُو دَاوُدَ وَابنُ مَاجَة وَاللَّفْظُ لَه، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيح «يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِيءً عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ، يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم كِتَابُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ

---

(١) «شرح السنة»: (ص١٢٠، الفقرة ١٣٦)

(٢) المصدر السابق: (ص ١١٩، الفقرة ١٣٤).

مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ الله»[1]، فَفِي الحَدِيثِ تَحْذِيرٌ مِنْ مُخَالَفَةِ السُّنَنِ، الَّتِي سَنَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أبو داود: (٤/ ١٠٠، رقم ٤٦٠٤)، والترمذي: (٥/ ٣٨، رقم ٢٦٦٤)، وابن ماجه: (١/ ٦، رقم ١٢)، واللفظ له، من حديث: الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه.

وفي رواية أبي داود، بلفظ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ،... » الحديث.

والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٧٠)، وله شاهد من حديث أبي رافع رضي الله عنه، بنحوه

الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ:

النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَنَا أَنَّ هَذِهِ الأُمَّة سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةٍ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَة وَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم كَانُوا أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ الخَيْرِ، فَسَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَن العَلَامَةِ الفَارِقَة بَيْنَ هَذِهِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، وَالفِرَقِ الهَالِكَةِ الضَّالَةِ، فَقَالُوا وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوم وَأَصْحَابِي.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (الْمَخْرَجُ مِنَ الْفِتَنِ) الْجُمُعَةَ ٢٩ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٦هـ الْمُوَافِقَ ٢٠/ ٣/ ٢٠١٥م

تَحْذِيرُ الشَّبَابِ مِنْ بَعْضِ الْأَفْكَارِ الْكُفْرِيَّةِ:

*يَسْرِي الْيَوْمَ كَسَرَيَانِ السَّرَطَانِ فِي الجَسَدِ الْحَيِّ أَفْكَارٌ كُفْرِيَّةٌ مِنْهَا:

مَا يَتَسَلَّلُ إِلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الطَّيِّبِينَ، يَقُولُ: الْأَدْيَانُ كُلُّهَا حَقٌّ وَكُلٌّ يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَالْمَعْبُودُ فِي الْمُنْتَهَىٰ هُوَ الْمَعْبُودُ، فَسَوَاءٌ كَانَ الْعَابِدُ مُسْلِمًا أَمْ كَانَ عَابِدًا عَلَىٰ أَيِّ نِحْلَةٍ تَكُونُ؛ فَهُوَ عَابِدٌ لِخَالِقِ الْكَوْنِ، لِمَالِكِهِ، لِلَّذِي يُدَبِّرُ أَمْرَهُ، هَكَذَا؟!!

هذَا كُفْرٌ بِدِينِ الْإِسْلَامِ، هَذَا كُفْرٌ بِدِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ

فَيَنْتَشِرُ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَرِّرُونَ جَازِمِينَ: بِأَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَىٰ كُفْرِهِ مُدَافِعًا عَنْ أَرْضِهِ أَوْ عَنْ عِرْضِهِ، وَقَدْ مَاتَ كَافِرًا؛ فَهُوَ شَهِيدٌ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَقَدْ لَا يَلْحَقُ بِهِ فِي دَرَجَتِهِ فِيهَا مُسْلِمٌ مُوَحِّدٌ، هَذِهِ أُمُورٌ عَجِيبَةٌ وَكُلُّهَا نَسْفٌ لِقَوَاعِدِ اعْتِقَادِ أَهْلِ الْحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ.

❁ ❁ ❁

نِدَاءٌ إِلَى الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً:

يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، حِمَايَتُكُمْ مِنَ الضَّلَالِ، حِمَايَتُكُمْ مِنَ الْفَسَادِ، حِمَايَةُ أَبْنَائِكُمْ مِنَ الِانْحِرَافِ، حِمَايَتُكُمْ مِنَ الشُّبُهَاتِ، حِمَايَةُ أَجْسَادِكُمْ مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَفْتِكُ فِي أَهْلِ الْبَاطِلِ الَّذِينَ لَا تَحْجِزُهُمْ عَقِيدَةٌ سَوِيَّةٌ عَنْ مُوَاقَعَةِ الِانْحِرَافَاتِ الْجَسَدِيَّةِ، حِمَايَتُكُمْ فِي هَذَا كُلِّهِ، وَنَجَاتُكُمْ مِنَ الدَّمَارِ وَالضَّلَالِ وَالْهَلَاكِ وَالْكُفْرِ وَالشِّركِ وَالزَّيْغِ وَنَجَاتُكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ النَّارِ، كُلُّ ذَلِكَ بِأَنْ تَعْرِفُوا وَأَنْ تَعْلَمُوا وَأَنْ تُحَقِّقُوا الْعَقِيدَةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ؛ نَبِيُّكُمْ ﷺ

وَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ أَنْ يُصِيبَكَ جَهْلٌ فِي نَاحِيَةٍ، فَهَذَا وَاقِعٌ لِكُلِّ أَحَدٍ؛ فَلَا يُحِيطُ بِالسُّنَّةِ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ لَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ، وَأَنْ نَعْرِفَ أَنَّ هُنَالِكَ أُصُولًا ثَابِتَةً وَقَوَاعِدَ رَاسِخَةً، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِهَا بَصِيرًا وَبِهَا مُلِّمًا وَعَلَيْهَا قَائِمًا وَلَهَا مُحَصِّلًا، أَمَّا أَنْ يَدَعَ هَذَا جَانِبًا ثُمَّ يَسِيرُ فِي الْحَيَاةِ كَمَا يَسِيرُ أَهْلُ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ وَالْمِلَلِ الْكُفْرِيَّةِ الْفَاسِدَةِ وَالنِّحَلِ الْوَثَنِيَّةِ الْفَاجِرَةِ، وَهُوَ يَقُولُ: وَظِيفَةُ الدِّينِ أَنْ يُهَذِّبَ الطِّبَاعَ وَيُصَفِّيَ الْأَخْلَاقَ؛ لَا، لَيْسَتْ هَذِهِ بِوَظِيفَةِ الدِّينِ، وَإِنَّمَا

هِيَ ثَمَرةٌ لِالْتِزَامِ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ الْمَتِينِ، إِنَّمَا هِيَ نَتِيجَةٌ لِمَنْ حَقَّقَ الِاعْتِقَادَ الصَّحِيحَ وَعَرَفَ دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (عَقَائِدُ الْكُفْرِ تَغْزُو الشَّبَابَ) الْجُمُعَةَ ٥ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٣٠هـ الْمُوَافِقَ ٢٩/ ٥/ ٢٠٠٩م

النَّصِيحَةُ: بِتَحْصِيلِ التَّقْوَى لِلنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ:

وَعَلَى كُلِّ شَابٍّ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ وَيَحْذَرَ مِنَ النَّارِ:

*إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ أَمَرَنَا بِالتَّقْوَىٰ، وَهِيَ وَصِيَّةُ اللهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [النساء: ١٣١].

فَوَصِيَّةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِمَنْ سَبَقَ هِيَ هِيَ وَصِيَّتُهُ تَعَالَىٰ لَنَا، أَنْ نَتَّقِيَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَأَمَرَنَا رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا أَنْ نَتَّقِيَهُ حَقَّ تُقَاتِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وَحَقُّ تُقَاتِهِ: أَنْ يُذْكَرَ فَلَا يُنْسَىٰ، وَأَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَىٰ، وَأَنْ يُشْكَرَ ﷻ وَلَا يُكْفَرَ، فَمَنْ أَتَىٰ بِذَلِكَ؛ فَقَدِ اتَّقَىٰ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَأَمَّا تَقْوَاهُ جَلَّ وَعَلَا: فَهُوَ أَنْ تَأْخُذَ عَامِلًا بِطَاعَةِ اللهِ عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ تَرْجُو رِضْوَانَ اللهِ، وَأَنْ تَجْتَنِبَ مَعْصِيَةَ اللهِ عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ تَخَافُ عَذَابَ اللهِ.

فَإِنَّ مَنْ أَخَذَ بِالْأَوَامِرِ وَاجْتَنَبَ النَّوَاهِيَ؛ فَهُوَ الْمُتَّقِي للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَقًّا وَصِدْقًا. وَقَدْ أَمَرَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ نَقِيَ أَنْفُسَنَا النَّارَ، وَوَصَفَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِبَعْضِ صِفَاتِهَا كَمَا وَصَفَ الْقَائِمِينَ عَلَيْهَا بِبَعْضِ صِفَاتِهِمْ، وَحَذَّرَنَا اللهُ

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَقِيَ أَنْفُسَنَا وَأَهْلِينَا ذَلِكَ الْأَمْرَ الْكَبِيرَ وَهُوَ وُرُودُ النَّارِ: ؟﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَادَانَا بِوَصْفِ الْإِيمَانِ؛ لِكَيْ يَكُونَ ذَلِكَ حَافزًا لَنَا عَلَىٰ إِلْقَاءِ سَمْعِ الْقَلْبِ لِمَا يَأْمُرُنَا بِهِ وَمَا يَنْهَانَا عَنْهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: يَا مَنْ أَعْلَنْتُمْ إِيمَانَكُمْ بِرَبِّكُمْ _جع) فَآمَنْتُمْ بِهِ وَبِمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابٍ وَبِالرَّسُولِ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا؛ فَاسْمَعُوا وَعُوا، وَامْتَثِلُوا أَمْرَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَاجْتَنِبُوا مُسَاخِطَهُ.

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾: اجْعَلُوا بَيْنَ أَنْفُسِكُمْ وَبَيْنَ نَارِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وِقَايَةً وَجُنَّةً، ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾: فَإِنَّكُمْ رُعَاةٌ فِيهِمْ، وَكُلُّ رَاعٍ فِي رَعِيَّةٍ هُوَ مَسْئُولٌ عَنْهَا، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَمَا أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ مَنْ مَكَّنَهُمْ مِنْ وَسَائِلِ الْفِسْقِ وَاللَّهْوِ وَالْفُجُورِ وَإِضَاعَةِ الْأَوْقَاتِ فِي مَعْصِيَةِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَمَا سَعَىٰ بِذَلِكَ فِي وِقَايَتِهِمْ النَّارَ الَّتِي وَصَفَهَا الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ بِقَوْلِهِ: ﴿نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾: لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، يُعذِّبُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَا أَهْلَ الْفُجُورِ وَالْفِسْقِ وَالْكُفْرِ، وَاللهُ ربُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾: فَهُمْ فِي غِلْظَتِهِمْ وَشِدَّتِهِمْ مُطِيعُونَ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِإِنْزَالِ النَّكَالِ وَالْهَوَانِ وَالْعَذَابِ عَلَىٰ مَنِ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ فِي النَّارِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْمُجْرِمِينَ.

فَأَمَرَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالتَّقْوَىٰ-، وَأَمَرَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ نَقِيَ أَنْفُسَنَا النَّارَ، وَلَنْ نَقِيَ أَنْفُسَنَا النَّارَ حَتَّىٰ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا وِقَايَةً مِنْ تَقْوَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ نَعْمَلَ بِطَاعَتِهِ عَلَىٰ نُورٍ مِنْهُ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِهِ، وَلَنْ نَتَّقِيَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَتَّىٰ نَجْتَنِبَ نَوَاهِيَهُ وَحَتَّىٰ نَبْتَعِدَ عَنْ مَعَاصِيهِ، وَحَتَّىٰ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ نَخْشَىٰ بِذَلِكَ وَنَخَافُ عَذَابَ اللهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، فَوَصَّانَا اللهُ كَمَا وَصَّىٰ الْأَوَّلِينَ، وَأَمَرَنَا اللهُ ربُّ الْعَالَمِينَ بِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ.

فَأَمَرَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِأَنْ نَقِيَ أَنْفُسَنَا النَّارَ وَأَنْ نَقِيَ أَهْلِينَا النَّارَ، وَوَصَفَهَا بِبَعْضِ مَا جَعَلَهَا عَلَيْهِ مِنْ صِفَاتٍ، وَوَصَفَ بَعْضَ الْقَائِمِينَ عَلَيْهَا بِمَا جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَسُوقًا فِي الْآيَةِ مِنْ بَعْضِ تِلْكَ الصِّفَاتِ، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ وَلَنْ تَقُوا أَنْفُسَكُمُ النَّارَ، وَلَنْ تَقُوا أَهْلِيكُمُ النَّارَ وَأَنْتُمْ بِمَبْعَدَةٍ عَنْ عِلْمِ الِاعْتِقَادِ الصَّحِيحِ وَعَنْ مَعْرِفَةِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ

وَكَيْفَ يَقِي الْعَبْدُ نَفْسَهُ النَّارَ، وَكَيْفَ يَقِي الْعَبْدُ أَهْلَهُ النَّارَ وَهُوَ جَاهِلٌ بِالِاعْتِقَادِ الَّذِي يُنجِّيهِ مِنَ النَّارِ؟!!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦].

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا؛ فَسَتَكُونُونَ وَقُودَهَا، يُحَذِّرُكُمُ اللهُ ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾

طَهِّرُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَدْرَانِهَا، نَظِّفُوهَا مِنْ أَوْسَاخِهَا؛ مِنَ الشِّرْكِ وَالْبِدْعَةِ، مِنَ النِّفَاقِ وَالسُّمْعَةِ، مِنْ كُلِّ مَا يَشِينُ، مِنَ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَةِ فِي الدِّينِ، مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَىٰ الْمُلَهِيَّاتِ، وَإِضَاعَةِ الْأَوْقَاتِ فِي غَيْرِ مَا يُرْضِي رَبَّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ

اتَّقُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي أَنْفُسِكُمْ وَفِي أَهْلِيكُمْ؛ فَإِنَّمَا هِيَ أَمَانَةٌ.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) الْجُمُعَةَ ١٤ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٠هـ الْمُوَافِقَ ٤/ ٩/ ٢٠٠٩م

النَّصِيحَةُ بِالْبُعْدِ عَنِ الْمُخَدِّرَاتِ:

وَعَلَى كُلِّ شَابٍّ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ وَأَنْ يَحْذَرَ مِنَ الْمُخَدِّرَاتِ وَإِنَّهُ:

يَدْخُلُ فِي الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَفِي الْمُحَارَبَةِ للهِ تَعَالَىٰ وَلِرَسُولِهِ ﷺ؛ الِاتِّجَارُ فِي الْمُخَدِّرَاتِ وَالْمُفَتِّرَاتِ، وَكُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يغيب الْوَعْيَ أَوْ يُذْهِبَهُ، أَوْ يُضْعِفَ الْعَقْلَ أَوْ يَحْجُبَهُ، بَلْ يَدْخُلُ الْمُتَعَاطِي لِلْمُخَدِّرَاتِ بِأَيِّ شَكْلٍ مِنْ أَشْكَالِهَا، وَبِأَيِّ ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِهَا؛ فِي الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ وَالْمُحَارَبَةِ للهِ وَرَسُولِهِ، ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ، وَيَصِيرُ إِلَيْهِ حَالُهُ، إِذْ يُضَيِّعُ الْمُدْمِنُ نَفْسَهُ وَيُضيِّعُ مَنْ يَعُولُ، بَلْ يُضَيِّعُ حَقَّ دِينِهِ، وَحَقَّ وَطَنِهِ، وَيُهْدِرُ طَاقَاتِهِ، وَيُبَدِّدُ ثَرْوَاتِهِ، وَيُفَرِّطُ فِي عِرْضِهِ وَشَرَفِهِ، وَيَظْلِمُ مَنْ له حَقٌّ عَلَيْهِ، وَكَيْفَ لَا يَفْعَلُ وَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ؟!

فَمِنَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَمِنَ الْمُحَارَبَةِ للهِ وَرَسُولِهِ؛ تَضْيِيعُ شَبَابِ الْأُمَّةِ وَشِيبِهَا، وَإِهْدَارُ ثَرْوَاتِهَا وَمُقَدَّرَاتِهَا، وَتَضْيِيعُ الذُّرِّيَّةِ وَالْأَهْلِ، وَالتَّفْرِيطُ فِي حَقِّ الدِّينِ، وَحَقِّ الوَطَنِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ(الْإِدْمَانُ وَالْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ) الْجُمُعَةَ ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ الْمُوَافِقَ ٢٢/ ٥/ ٢٠١٥م

* وَلْنَحذَر عِبَادَ اللهِ مِن مُواقَعَةِ ما تَورَّطَ فِيهِ كَثيرٌ مِن النَّاسِ؛ مُحاوَلَةً لِلكَسْبِ السَّريعِ فِي هَذا الزَّمَانِ عَن طَريقِ تَروِيجِ المُخدِّرات، يُفسِدونَ علَىٰ النَّاسِ دِينَهُم.

فَلْيتَّقوا اللهَ رَبَّهُم، وَلذَلِك عُومِلُوا كمَا هُوَ مَعلُومٌ، وَقَد صَدَرَت بِهِ الفَتَاوَىٰ العَظِيمَة المُحكَمَة بالقَتلِ؛ لأَنَّهَا حِرَابَة، وَلِأَنَّهُ قَطعٌ لِطريقِ الجَنَّة، وَتَدمِيرٌ لِلمُجتَمعِ المُسلِم

فَمُرَوِّجُ المُخدِّراتِ حَقُّهُ القَتل علَىٰ يَدِي وَلِيِّ الأَمرِ، لَا أنْ تُبْسَطَ أَيدِي النَّاسِ فِي دِمَاءِ النَّاسِ وَفِي أَجسَامِهِم، وَلَكِن حَدُّهُ شَرعًا أَنَّهُ قَاطِعُ طَرِيق، أَنَّهُ مُحَارِبٌ للهِ وَرَسُولِه ﷺ كمَا صَدَرَت بذَلِك الفَتَاوَىٰ مِن اللَّجنَةِ الدَّائمَةِ وَمِن هَيئَةِ كِبَارِ العُلَمَاءِ.

يُدَمِّرونَ علَىٰ النَّاسِ طَاقَاتِهِم، يَستَلِبونَ أَموَالَهُم، وَيُدَمِّرونَ علَىٰ الأُمَّةِ إسلَامَها وَدِينَهَا حتَّىٰ تَصِيرَ مَجمُوعَةً مِن المَهَازِيل؛ لَا تَستَطِيعُ دِفَاعًا فَضلًا عَن أنْ تَقُومَ بمَسؤلِيَّةٍ

فَاتَّقُوا اللهَ وَالْتَفِتُوا إِلَىٰ الشَّبَابِ، حَذِّرُوهُم مِن هَذا الأَمرِ العَظِيم

وَمَن كَانَ لَهُ وَلدٌ تَورَّطَ فِي هَذَا فَلَا يُعَامَلُ مِثْلُ هَذا بِالتَّعْنِيفِ؛ وَإِنَّمَا يُعَامَلُ بِوسَائِلِه، قَد يَحتَاجُ إِلَىٰ تَقلِيلِ النِّسبَةِ الدَّائرَةِ فِي الدِّمَاءِ، فَهَذا أَمرٌ آخَر فَلْتُسلَك لَهُ مَسَالِكُه؛ مَعَ تَخوِيفِه وَإِنْذَارِهِ وَتَرهِيبِه وَتَرغِيبِه وَالدُّعَاءِ لَهُ وَحِيَاطَتِه وَإِبعَادِه عَن قُرَنَاءِ السُّوء

أَسأَلُ اللهَ أَنْ يَحفَظَ شَبابَ المُسلِمِينَ أَجمَعِين مِن المُخدِّراتِ وَالزِّنَا وَالفَواحِشِ كُلِّهَا، وَأَنْ يُمَسِّكَهُم الكِتَابَ المَجِيد وَسُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنْ يَجعَلَهُم رَبَّانِيِّينَ، مُحَافِظِينَ علَىٰ دِينِهِم وَأعرَاضِهِم وَأَرْضِهِمُ الإسلَامِيَّة، يُدافِعُونَ عَنَها، وَيُستَشْهَدُونَ فِي الدِّفَاعِ عَن الإسْلَامِ العَظِيم، إنَّ رَبَّنَا هُوَ الجَوَادُ الكَرِيم.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ) الْجُمُعَةَ ١٠ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ١٤٣٠هـ الْمُوَافِقَ ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٩م.

مَا تَرْقَى بِهِ الْأُمَّةُ:

*فسَبِيلُ النَّجَاةِ الْعِلمُ وَالْعَمَلُ بِهِ.

لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ فِي هَذَا الْكَوْنِ سُنَنًا ثَوَابِتَ لَا تَتَخَلَّفُ، وَتَتَدَافَعُ أَمْوَاجُ الْبَشَرِ وَالْأَحْيَاءِ يَطْوِيهَا الْمَوْجُ وَتَبْتَلِعُهَا الْأَرْضُ، وَهَذِهِ السُّنَنُ شَاخِصَةٌ إِلَيْهِمْ لَا تَرِيمُ عَنْهُمْ وَلَا تَنْفَكُّ عَنْ عَمَلِهَا فِيهِمْ بِإِذْنِ رَبِّهَا أَبَدًا.

فنُصرةُ الله ﷻ وَرَحْمَتُهُ الَّتِي هِيَ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ لَيْسَتْ قَرِيبًا إِلَّا مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَرَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ قَرِيبًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَمَنْ أَرَادَ رَحْمَةً ونُصْرَتَهُ قَرِيبًا مِنْهُ فَعَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ سُنَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ إِلَهِيَّةٌ لَا تَتَخَلَّفُ.

وَنَحْنُ إِذْ نَنْظُرُ فِي مَاضِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَحَاضِرِهَا لَا نَمْلِكُ إِلَّا الْعَجَبَ الْعَجِيبَ وَالدَّهَشَ الْغَرِيبَ؛ سَلَفٌ عَمَالِقَةٌ وَخَلَفٌ كَالْأَقْزَامِ وَمَاضٍ أَشَدُّ إِضَاءَةٍ مِنَ الشَّمْسِ فِي رَائِعَةِ الضُّحَىٰ وَحَاضِرٌ يَنْدَي لَهُ الْجَبِينُ وَتَسْتَحِي الْأَقْلَامُ.

وَهَذَا التَّنَاقُضُ الْعَجِيبُ بَيْنَ مَاضِي الْأُمَّةِ وَحَاضِرِهَا سَبَبُهُ إِهْمَالُ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ اللهِ فِي الْكَوْنِ، وَهِيَ فَصْلُ مَا بَيْنَ الْأَسْبَابِ وَمُسَبِّبَاتِهَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي رَبَطَ اللهُ ﷻ فِيهِ بَيْنَ النَّتَائِجِ وَمُقَدِّمَاتِهَا، فَنَتَجَ عَنْ هَذَا الْفَصْلِ الْبَاطِلِ نَتَائِجُ عَجِيبَةٌ:

مِنْهَا أَنْ تَرَىٰ الْبَطَالَةَ الْفَارِغَةَ مَعَ التَّوَاكُلِ الْكَاذِبِ سَبَبًا لِاسْتِمْطَارِ الرِّزْقِ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْهَا أَنْ تَرَىٰ الشِّرْكَ الْأَحْمَقَ مَعَ النَّظَرِ إِلَىٰ سَعَةِ الرَّحْمَةِ سَبَبًا لِدُخُولِ جَنَّةِ الرِّضْوَانِ، وَمِنْهَا أَنْ تَرَىٰ الْعِلْمَ الدُّنْيَوِيَّ مِنْ غَيْرِ يَقِينٍ صَادِقٍ سَبَبًا لِلنَّصْرِ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ.

وَمَا هَكَذَا كَانَ مَنْ سَلَفَ مِنْ أَصْحَابِ الْجِدِّ وَالْعَزْمِ وَالتَّصْمِيمِ وَالْإِبَاءِ، لَابُدَّ إِذًا مِنَ النَّظَرِ فِي أَسْبَابِ تَخَلُّفِ الْأُمَّةِ، لَا بَلْ لَابُدَّ مِنَ النَّظَرِ فِي الشَّرَائِطِ الَّتِي تَكُونُ بِهَا الْأُمَّةُ أُمَّةً، فَإِذَا تَوَفَّرَتْ هَذِهِ الشَّرَائِطُ أَصْبَحَتْ الْأُمَّةُ أُمَّةً بِحَقٍّ، نُظِرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَسْبَابِ تَخَلُّفِهَا أَوْ دَوَافِعُ رُقِيِّهَا وَتَرَقِّيهَا، وَقَدْ قرَّرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ أَيَّ أُمَّةٍ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَفَّرَ فِيهَا شَرْطَانِ:

الْأَوَّلُ: فِكْرَةٌ تَقُومُ عَلَيْهَا الْأُمَّةُ وَمِحْوَرٌ تَدُورُ حَوْلَهُ وَقُطْبٌ تَسْبَحُ فِي فَلَكِهِ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ كَونِ هَذِهِ الْفِكْرَةِ صَحِيحَةً أَوْ خَاطِئَةً، قَدْ تَكُونُ فِكْرَةً وَثَنِيَّةً، فَكِرْةً إِلْحَادِيَّةً كَالشُّيُوعِيَّةِ مَثَلًا عِنْدَمَا قَرَّرَ مَارْكِسْ وَأَنْجِلْز مَا قَرَّرَاهُ، كَانَتْ هُنَالِكَ فِكْرَةٌ.

فَهَذَا هُوَ الشَّرْطُ الْأَوَّلُ لِنُشُوءِ تِلْكَ الْأُمَّةِ الشُّيُوعِيَّةِ بِكُلِّ مَا حَمَلَتْهُ لِلْعَالَمِ مِنْ الشُّرُورِ وَمَا وَقَعَ عَلَىٰ الْعَالَمِ مِنْهَا مِنْ ظُلْمٍ وَغُرُورٍ، فَهَذَا هُوَ الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: فِكْرَةٌ تَقُومُ عَلَيْهَا الْأُمَّةُ سَوَاءٌ كَانَتْ هَذِهِ الْفِكْرَةُ صَحِيحَةً أَوْ خَاطِئَةً.

وَالثَّانِي مِنَ الشَّرْطَيْنِ: رِجَالٌ يَحْمِلُونَ الْفِكْرَةَ وَتَخْتَلِطُ بِلُحُومِهِمْ وَتَجْرِي بِهَا دِمَاؤُهُمْ كَأَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْقَلْبِ وَتَنْطِقُ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ وَجَوَارِحُهُمْ كَأَنَّهَا بَعْضٌ مِنَ الْعَقْلِ، وَقَدْ قَامَ لِينِينْ وَمَنْ مَعَهُ؛ فَهَؤُلَاءِ قَامُوا بِحَمْلِ الْفِكْرَةِ فَصَنَعُوا مَا صَنَعُوا

مِنْ الشُّرُورِ وأَتَوْا مَا أَتَوْا بِهِ مِنَ الْآثَامِ وَتَسَلَّطُوا عَلَىٰ الْجُمْهُورِيَّاتِ أَوِ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَحَرَفُوهُمْ عَنِ الْحَقِّ إِلَىٰ الشُّيُوعِيَّةِ، ثَبَتَ مَنْ ثَبَتَ وَانْحَرَفَ مَنِ انْحَرَفَ وَتَوَفَّرَ الشَّرْطَانِ فَقَامَتْ أُمَّةٌ تَحْمِلُ فِي بَاطِنِهَا عَوَامِلَ هَدْمِهَا لِأَنَّهَا أُمَّةٌ ظَالِمَةٌ وَثَنِيَّةٌ مُلْحِدَةٌ كَافِرَةٌ.

فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَىٰ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ وَجَدْنَا أَنَّ الْمِحْوَرَ الَّذِي تَدُورُ حَوْلَهُ وَالْقُطْبَ الَّذِي تَسْبَحُ فِي فَلَكِهِ هُوَ التَّوْحِيدُ.

التَّوْحِيدُ الَّذِي هُوَ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْهَجُ الرُّسُلِ مُنْذُ أَنْ أَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ وَمُنْذُ كَوْنِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا أَشْرَقَ عَلَىٰ الْعَالَمِ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ الْعَالَمَ شَمْسُ تَوْحِيدٍ أَجْلَىٰ مِمَّا تَجَلَّىٰ فِي صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

إِذًا قَيَّدَ اللهُ لِهَذَا التَّوْحِيدِ رِجَالًا يَحْمِلُونَهُ عَلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ بَعْدَ أَنِ اخْتَلَطَ بِقُلُوبِهِمْ إِلَىٰ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا يَنْشُرُونَ نُورَهُ فِي الْآفَاقِ لِيُخْرِجُوا الْعِبَادَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَىٰ سَمَاحَةِ الْإِسْلَامِ وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَىٰ سَعَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

إِنْ كَانَتِ الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ الْيَوْمَ مُوَحِّدَةً حَقًّا وَكَانَ رِجَالُهَا يَحْمِلُونَ هَذَا التَّوْحِيدُ يَقِينًا وَصِدْقًا فَهِيَ أُمَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ لَا أُمَّةٌ مِنْ قَوَارِيرَ وَعِنْدَ ذَلِكَ يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنْ أَسْبَابِ تَخَلُّفِهَا وَضَعْفِهَا.

أَعْظَمُ أَسْبَابِ تَأَخُّرِ الْمُسْلِمِينَ الْجَهْلُ الَّذِي يَجْعَلُ فَهْمَ مَنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالْخَلِّ فَيَتَقَبَّلُ السَّفْسَطَةَ قَضِيَّةً مُسَلَّمَةً وَلَا يَعْرِفُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا.

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ تَأَخُّرِ الْمُسْلِمِينَ الْعِلْمُ النَّاقِصُ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ خَطَرًا مِنَ الْجَهْلِ الْبَسِيطِ لِأَنَّ الْجَاهِلَ إِذَا قَيَّدَ اللهُ لَهُ مُرْشِدًا عَالِمًا أَطَاعَهُ وَلَمْ يَتَفَلْسَفْ عَلَيْهِ، وَأَمَّا صَاحِبُ الْعِلْمِ النَّاقِصِ فَهُوَ لَا يَدْرِي وَلا يَقْتَنِعُ بِأَنَّهُ لَا يَدْرِي، وَكَمَا قِيلَ: ابْتِلَاؤُكُمْ بِمَجْنُونٍ خَيْرٌ مِنَ ابْتِلَائِكُمْ بِشِبْهِ عَالِمٍ ابْتِلَاؤُكُمْ بِمَجْنُونٍ خَيْرٌ مِنَ ابْتِلَائِكُمْ بِشِبْهِ عالِمٍ.

فَانْظُرْ هَدَانِي اللهُ وَإِيَّاكَ سَبِيلَ الرَّشَادِ كَيْفَ كَانَ الْجَهْلُ أَوَّلَ مَا يُعْقَدُ عَلَيْهِ الْخِنْصَرُ فِي أَسْبَابِ تَأَخُّرِ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا تَكْتَفِي بِذَلِكَ وَإِنَّمَا عَلَيْكَ أَنْ تُثَنِّي بِمَا هُوَ مُتَّصِلٌ بِالْجَهْلِ بِسَبَبٍ وَثِيقٍ وَهُوَ الْعِلْمُ النَّاقِصُ.

فَتَدُورُ الْمَسْأَلَةُ عَلَىٰ نَفْيِ الْجَهْلِ وَتَعَلُّمِ الْعِلْمِ النَّافِعِ.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ(تَحْذِيرُ الشَّبَابِ مِنْ مُشَابَهَةِ الْخَوَارِجِ) الْجُمُعَةَ ٢٥ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٦هـ الْمُوَافِقَ ١٦/ ١/ ٢٠١٥م

نَصِيحَةٌ أَخِيرَةٌ:

*إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ حَالَ الْعَالَمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَهُ، وَيَعْلَمُ حَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ حَالٍ وَحِينٍ، وَالْمُسْلِمُونَ يُنَادُونَ فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْمَسَاءِ:

أَيْنَ أَنْتَ يَا صَلاحَ الدِّينِ؟!!

وَهَذَا وَهْمٌ كَبِيرٌ جِدًّا؛ لِأَنَّ لِكُلِّ عَصْرٍ دَوْلَةٌ وَرِجَالٌ؛ وَلِأَنَّهُ لَوْ فُرِضَ أَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ بَعَثَ الرَّجُلُ الْمُجَاهِدُ الصَّالِحُ رَحِمَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَقَامَ فِي الْأُمَّةِ الْيَوْمَ، فَإِنَّهُ لَنْ يُجَيِّشَ الْجُيُوشَ عَلَىٰ سَهْمٍ وَسَيْفٍ، وَلَا عَلَىٰ رُمْحٍ وَخَيْلٍ، وَإِنَّمَا سَيَنْظُرُ فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ مُتَبَصِّرًا، وَيَنْظُرُ فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ مُعْتَبِرًا، ثُمَّ يُحَاوِلُ أَنْ يَتَمَلَّكَ أَسْبَابَ الْقُوَّةِ الَّتِي عَقَدَتْ الْأُمَّةُ رَجَاءَهَا فِي رَبِّها عَلَىٰ شَبَابِهَا؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونُوا لَهَا مُحَصِّلِينَ وَلَهَا مُهْتَدِينَ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْخُذُوا بِهَذَا الَّذِي يَبْدَؤُونَهُ مِنَ الْعَامِ الْمُقبِلِ الَّذِي يَأْخُذُونَ فِيهِ بِأَسْبَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي الْإِقْبَالِ عَلَىٰ الدَّرْسِ، وَبَذْلِ الْجُهْدِ وَالْمَجْهُودِ فِي التَّحْصِيلِ مِنْ غَيْرِ مَا شَقٍّ لِلْحَنَاجِرِ فِي هُتَافٍ وَبِهِتَافٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَبْدِيدٌ لِلطَّاقَاتِ، وَتَضْيِيعٌ لِلْأَوْقَاتِ، ثُمَّ يَبْقَىٰ الْعِلْمُ يَتِيمًا لَيْسَ لَهُ مِنْ أَبٍ يَرْعَاهُ، وَلَا أُمٍّ يُمْكِنُ أَنْ تَحُوطَهُ بِعِنَايَةٍ وَلَا رِعَايَةٍ وَلَا كَلَاءَةٍ، وَيَبْقَىٰ الْعِلْمُ مَهْجُورًا لَا يُقْبِلُ عَلَيْهِ أَحَدٌ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ إِشْكَالًا عَظِيمًا يَقَعُ فِي أَذْهَانِ وَقُلُوبِ كَثِيرٍ مِنْ شَبَابِنَا الصَّالِحِينَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُقَدِّرْ لَهُمْ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَبْدَؤُوا حَيَاتَهُمْ بِدِرَاسَةِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ الصَّحِيحِ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يُقَدَّرَ لَهُمْ بِمَقَادِيرَ كَانُوا يَرْجُونَهَا أَنْ يُقْبِلُوا مُتَوَفِّرِينَ عَلَىٰ دَرْسِ دِينِهِمْ، وَمَعْرِفَةِ سُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، فَسَاقَتْهُمْ مَقَادِيرُهُمْ إِلَىٰ حَيْثُ يَدْرُسُونَ مِنْ ذَلِكَ الْعِلْمِ الْمَادِّيِّ الَّذِي هُمْ لَهُ هَاجِرُونَ، وَعَلَيْهِ غَيْرُ مُقْبِلِينَ.

هَذَا الَّذِي يَقَعُ مِنْ هَذَا الَّذِي يُؤَدِّي إِلَىٰ عَدَمِ الِاتِّزَانِ بِالذَّبْذَبَةِ مَا تَهْوَاهُ الْأَنْفُسُ وَتَهْفُو إِلَيْهِ الْأَرْوَاحُ، وَمَا هُوَ وَاقِعٌ فِي دُنْيَا اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُ دَفْعًا، وَلَا يَمْلِكُونَ لَهُ تَغْيِيرًا؛ فَيَنْصَرِفُونَ عَمَّا هُمْ بِهِ مُكَلَّفُونَ، وَعَمَّا أَرْسَلَهُ أَهْلُوهُمْ إِلَيْهِ رَاغِبِينَ طَائِعِينَ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونُوا فِيهِ سَابِقِينَ، يَدَعُونَ ذَلِكَ جَانِبًا، يَجْعَلُونَهُ دَبْرَ الْآذَانِ، وَتَحْتَ الْأَقْدَامِ، ووَرَاءَ الْأَظْهُرِ - يَتَّخِذُونَهُ ظِهْرِيًّا -، ثُمَّ يُقْبِلُونَ عَلَىٰ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ فِيمَا هُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَهُمْ أَوْ غَيْرُ مَعْلُومٍ أَنَّهُ إِنَّمَا يُطْلَبُ عَلَىٰ سَبِيلِ الْفَرْضِ الْكِفَائِيِّ لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْفَرْضِ الْعَيْنِيِّ، وَعِنْدَئِذٍ يَتَوَرَّطُونَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مَتَاهَاتٍ لَا مَخْلَصَ مِنْهَا وَلَا مَنْجًىٰ.

وَالْأَصْلُ أَنَّ الْمُسْلِمَ مَا دَامَ قَدْ حَصَّلَ الْعِلْمَ الْفَرْضَ الَّذِي يَلْزَمُهُ فِي اعْتِقَادِهِ وَعِبَادَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَسُلُوكِهِ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَوَفَّرَ عَلَىٰ مَا هُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ، وَعَمَّا أَقَامَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ، وَلِأَنَّ الْأُمَّةَ لَنْ تَكُونَ بِجَمْعِهَا وَفِي مَجْمُوعِهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَحْذِقُونَ الْعِلْمَ الْكِفَائِيَّ، وَيُؤَدُّونَهُ إِلَىٰ الْأُمَّةِ، بَلْ أَمَرَ اللهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ الْأُمَّةَ أَمْرًا وَاضِحًا ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فَأَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْعِلْمِ الْكِفَائِيِّ بِذَلِكَ.

وَأَمَّا الْعِلْمُ الَّذِي هُوَ فَرْضُ عَيْنٍ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ؛ فَلَا يَسَعُ الْمُسْلِمَ أَنْ يُفرِّطَ فِيهِ لَحْظَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقَلَّ مِنْهَا، فَيَنْبَغِي إِذَا مَا حَصَّلَهُ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَىٰ مَا أَقَامَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ، وَلَا يتوَرَّطُ فِي الْوُقُوعِ بِالذَّبْذَبَةِ بَيْنَ غَايَتَيْنِ يَظَلُّ كَبُنْدُولِ السَّاعَةِ رَائِحًا وَغَادِيًا بَيْنَهُمَا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ نِهَايَةٍ مَحْمُودَةٍ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْقَىٰ عَلَىٰ قَرَارٍ مَكِينٍ، وَإِنَّمَا هُوَ الْخَبْطُ فِي أَوْدِيَةِ الظُّنُونِ، فَلَا يَصِلُ بَعْدَ أَمَدٍ مُتَطَاوِلٍ لَا إِلَىٰ عِلْمٍ شَرْعِيٍّ حَصَّلَهُ، وَلَا إِلَىٰ عِلْمٍ مَادِّيٍّ نَفَعَ بِهِ الْأُمَّةَ مِنْ بَعْدِ مَا حَصَّلَ الْيَقِينَ بِفَضْلِ رَبِّهِ جَلَّوَعَلَا، وَبَعْدَ أَنْ ضَبَطَ عِبَادَتَهُ عَلَىٰ الْمَنْهَجِ الْأَحْمَدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ أَحْمَدُ ﷺ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ قَدْ صَنَعَ شَيْئًا لِنَفْسِهِ وَلا لِأُمَّتِهِ، وَإِنَّمَا هِيَ الذَّبْذَبَةُ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ، شَيْءٌ وَاحِدٌ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ وَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ. وَهَذَا دِينٌ جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ لِيَضْبِطَ بِهِ الْحَيَاةَ، يَضْبِطُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِدِينِهِ الْحَيَاةَ ضَبْطًا مَتِينًا، ويَجْعَلُ لَنَا رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ.

وَتَعْلَمُونَ حَفِظَكُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنَّ خَالِدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ الْفَارِسُ الَّذِي لَمْ يُهْزَمْ قَطُّ، وَالْقَائِدُ الَّذِي لَمْ يُغْلَبْ أَبَدًا، لَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ - لَمْ يَكُنْ أَقْرَأَ الْأَصْحَابِ، وَلَمْ يَكُنْ أَعْلَمَهُمْ بِالْفَرَائِضِ، وَلَمْ يَكُنْ أَثْبَتَهُمْ فِي دِينِ اللهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَإِحَاطَةً بِمَا أَتَىٰ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَإِنَّمَا كَانَ فِي مَجَالِهِ سَابِقًا، وَكَانَ حَيْثُ جَعَلَهُ اللهُ ربُّ الْعَالَمِينَ رَائِدًا مُسْتَفْرِغًا لِلْجَهْدِ فِيمَا أَقَامَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ.

وَقَدِيمًا قَالَ عُلَمَاؤُنَا عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ: «إِرَادَتُكَ التَّجْرِيدُ مَعَ إِقَامَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِيَّاكَ فِي الْأَسْبَابِ مِنَ الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ، وَأَخْذُكَ بِالْأَسْبَابِ مَعَ إِقَامَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِيَّاكَ فِي التَّجْرِيدِ انْحِطَاطٌ عَنِ الْهِمَّةِ العَلِيَّةِ»، إِنَّهَا إِشَارَاتٌ لَا يَفْهَمُهَا إِلَّا الْحَاذِقُونَ، وَلَا يَتبَصَّرُهَا إِلَّا الْمُسْتَبْصِرُونَ.(*).

* يَا أُمَّتِي ! يَا أُمَّتِي الْمَرْحُومَةَ!

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ

يَا لَمَكَانِكِ بَيْنَ نُجُومِ السَّمَاءِ عَالِيًا فَوْقَ الذُّرَىٰ

لَوْ عَرَفْتِ مَكَانَكِ، لَوْ حَقَّقْتِ وُجُودَكِ، لَوْ تَمَسَّكْتِ بِمِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ

تَعَلَّمُوا الْعَقِيدَةَ وَعَلِّمُوهَا يُحْمَ الْمُجْتَمَعُ مِنْ هَذِه الْأَفْكَارِ الشَّاذَّةِ، وَالنِّحَلِ الْبَاطِلَةِ، وَالدِّيَانَاتِ الْوَافِدَةِ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَكَ، وَيُرِيدُونَ أَبْنَاءَكَ، وَيُرِيدُونَ حَفَدَتَكَ، وَيُرِيدُونَ إِخْوَانَكَ، وَيُرِيدُونَ جِيرَانَكَ، يُرِيدُونَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَأَخَاكَ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (نَصِيحَةٌ لِلشَّبَابِ مَعَ بِدَايَةِ الْعَامِ الدِّرَاسِيِّ) ٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٥هـ الْمُوَافِقَ ١٧/ ٩/ ٢٠٠٤م

وَأُخْتَكَ وَعَمَّتَكَ وَعَمَّكَ وَخَالَتَكَ وَخَالَكَ، يُرِيدُونَ كُلَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لَا مُسْلِمًا وَلَا كَافِرًا وَإِنَّمَا تَائِهًا وَحِينَئِذٍ يَكُونُ لِكُلِّ ضَالٍّ فِي الْأُمَّةِ نَصِيبٌ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرُدَّنا وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ إِلَىٰ الْحَقِّ رَدًّا جَمِيلًا.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (عَقَائِدُ الْكُفْرِ تَغْزُو الشَّبَابَ) الْجُمُعَةَ ٥ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٠هـ الْمُوَافِقَ ٢٩/ ٥/ ٢٠٠٩م

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ ٣
دِينُ الْإِسْلَامِ دِينٌ كَامِلٌ عَامٌّ شَامِلٌ ٤
دِينُ الْإِسْلَامِ دِينُ السَّعَادَةِ دُنْيَا وَآخِرَةً ٧
مَنْ وَجَدَ النَّصَبَ فِي تَمَسُّكِهِ بِدِينِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُرَاجِعَ نَفْسَهُ ٩
آتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ١١
اغْتِنَامُ مَرْحَلَةِ الشَّبَابِ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ ١٧
الشَّابُّ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي يَخْدِمُ دِينَهُ وَوَطَنَهُ يُظِلُّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ٢١
الْحِرْصُ عَلَىٰ التَّعَلُّمِ وَعَدَمِ تَضْيِيعِ الْوَقْتِ ٢٣
الأَمَانَةُ فِي العَمَلِ مَعَ تَأْدِيَتِهِ عَلَىٰ الوَجْهِ المَطْلُوبِ ٤٠
عِنَايَةُ الْإِسْلَامِ بِالْمَالِ ٤٢
إِتْقَانُ الْعَمَلِ وَزِيَادَةُ الْإِنْتَاجِ ٤٣
حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ الْعَمَلِ وَالسَّعْيُ فِي الْأَرْضِ ٤٤
حَثَّ اللهُ عَلَىٰ الْبِنَاءِ وَالتَّعْمِيرِ ٤٧

أَفْضَلُ مَا أَكَلَ الْعَبْدُ مَا كَانَ مِنْ سَعْيِهِ ٥١
الدَّعْوَةُ إِلَىٰ الْإِنْتَاجِ ٥٣
نَصَائِحُ لِلشَّبَابِ ٥٥
الْحِرْصُ عَلَىٰ تَعَلُّمِ التَّوْحِيدِ ٥٦
النَّصِيحَةُ: بِالتَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ ٦٢
النَّصِيحَةُ: بِالْحَذَرِ مِنَ الْبِدَعِ وَأَهْلِهَا مِنَ الْجَمَاعَاتِ الْمُنْحَرِفَةِ وَالْفِرَقِ الضَّالَّةِ ... ٧٣
مِنْ أَبْرَزِ عَلَامَاتِ أَهْلِ الْبِدَعِ ٧٩
الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ ٨٢
تَحْذِيرُ الشَّبَابِ مِنْ بَعْضِ الْأَفْكَارِ الْكُفْرِيَّةِ ٨٣
نِدَاءٌ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً ٨٤
النَّصِيحَةُ: بِتَحْصِيلِ التَّقْوَىٰ لِلنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ ٨٦
النَّصِيحَةُ بِالْبُعْدِ عَنِ الْمُخَدِّرَاتِ ٩٠
مَا تَرْقَىٰ بِهِ الْأُمَّةُ ٩٣
الْفِهْرِسُ ١٠٣

❁ ❁ ❁